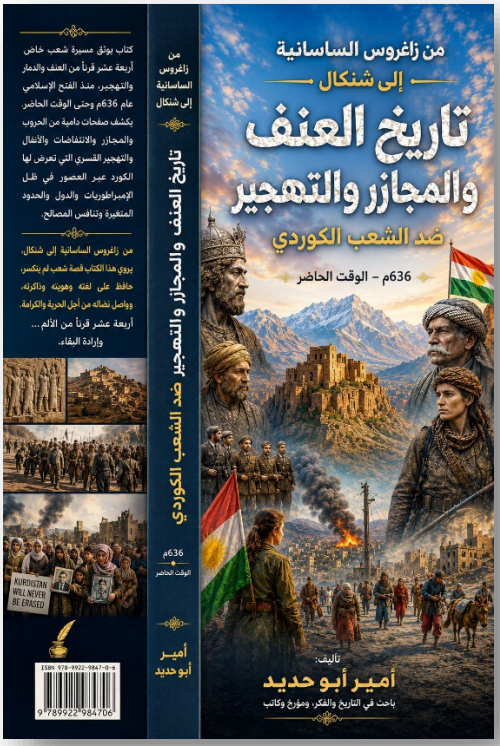

من زاغروس الساسانية إلى حلبجة تاريخ العنف والمجازر والتهجير ضد الشعب الكوردي

مقدمة :

لا يُقاس تاريخ الشعوب بعدد السنوات التي مرت عليها فحسب، بل بما حملته تلك السنوات من أحداث صنعت مصيرها ورسمت ملامح وجودها. وبين شعوب الشرق القديم يقف الشعب الكوردي بوصفه أحد أقدم شعوب جبال زاغروس والمناطق الجبلية الممتدة بين أعالي دجلة والفرات وسهول أذربيجان وجبال كوردستان، شاهداً على تعاقب الإمبراطوريات والدول والحروب الكبرى التي اجتاحت المنطقة عبر قرون طويلة.

لقد كانت أرض كوردستان، بحكم موقعها الجغرافي الفاصل بين المراكز الإمبراطورية الكبرى، ساحةً للصراع المستمر بين القوى المتنافسة منذ أقدم العصور. فمن الساسانيين إلى الخلافات الإسلامية، ومن الغزوات المغولية والتيمورية إلى الصراع العثماني الصفوي، ومن مشاريع الدول القومية الحديثة إلى حملات الإبادة الجماعية في القرن العشرين، وجد الكورد أنفسهم مراراً في قلب التحولات السياسية والعسكرية التي شهدها الشرق الأوسط.

ولا يهدف هذا الكتاب إلى إعادة إنتاج خطاب المظلومية المجردة، ولا إلى كتابة التاريخ بمنطق العاطفة أو الانحياز، بل يسعى إلى دراسة موثقة لمسار طويل من العنف السياسي والعسكري والتهجير القسري والمجازر التي تعرض لها الكورد عبر ما يقارب أربعة عشر قرناً من الزمن. فالتاريخ لا يُكتب بالشعارات، وإنما بالوثائق والشهادات والمصادر وتحليل الوقائع ضمن سياقها التاريخي.

وينطلق هذا العمل من أواخر العهد الساساني بوصفه نقطة تحول مفصلية في تاريخ المنطقة، حيث بدأت مرحلة جديدة أعادت رسم الخريطة السياسية والسكانيّة لجبال زاغروس وبلاد الكورد. ومن تلك اللحظة التاريخية يتتبع الكتاب الأحداث الكبرى التي أثرت في الوجود الكوردي، مروراً بالعصور الإسلامية والوسطى والحديثة، وصولاً إلى المآسي المعاصرة التي بلغت ذروتها في حملات الأنفال وقصف حلبجة بالأسلحة الكيميائية.

إن كتابي هذا ليس سجلاً للحروب فحسب، بل هو أيضاً شهادة على قدرة شعبٍ كامل على البقاء رغم التهجير، والصمود رغم الانقسامات، والاستمرار رغم تعاقب الكوارث. وهو محاولة لفهم التاريخ الكوردي في سياقه الأوسع، بعيداً عن التبسيط والاختزال، ومن خلال قراءة نقدية تستند إلى المصادر المتاحة وإلى المقارنة بين الروايات المختلفة.

فبين زاغروس الساسانية وحلبجة الحديثة تمتد قرون طويلة من الألم والمقاومة والأمل. وهذه الصفحات ليست سوى محاولة لتوثيق ذلك المسار الطويل، وإلقاء الضوء على الأحداث التي تركت أثرها العميق في ذاكرة الشعب الكوردي وتاريخه الحديث.

وهنا أبدأ الشرح بالتفصيل:
الكورد في أواخر العهد الساساني:
كوردستان عشية سقوط الدولة الساسانية حتى سنة 636م

عندما كانت الدولة الساسانية في قرونها الأخيرة تمثل إحدى أعظم القوى السياسية والعسكرية في العالم القديم، كانت المناطق الجبلية الممتدة من زاغروس إلى أعالي دجلة والفرات تشكل جزءاً أساسياً من حدودها الغربية والشمالية الغربية. وفي تلك المناطق التي ستُعرف لاحقاً باسم كوردستان، عاشت جماعات وقبائل جبلية متعددة ارتبطت بالدولة الساسانية بدرجات متفاوتة من الولاء والاستقلال.

لم تكن تلك المناطق هامشية في الحسابات السياسية الساسانية، بل كانت تشكل خط الدفاع الأول في مواجهة الإمبراطورية البيزنطية، كما كانت ممراً حيوياً يربط العراق والهضبة الإيرانية بالأناضول وأرمينيا والجزيرة الفراتية. ولهذا السبب حرص الساسانيون على إبقاء نفوذهم قائماً في تلك الجبال عبر الحصون والحاميات والتحالفات المحلية.

الموقع الجغرافي لكوردستان الساسانية :

امتدت المناطق التي سكنتها الجماعات الكوردية عبر نطاق جغرافي واسع شمل:

جبال زاغروس الوسطى والشمالية.شهرزور.حلوان.الدينور.كرمنشاه.أذربيجان الجنوبية .(هولير).المناطق الجبلية المحيطة بالموصل.أجزاء من الجزيرة العليا.

وقد منحت الطبيعة الجبلية لهذه البلاد سكانها قدرة كبيرة على الدفاع عن أنفسهم، لكنها جعلتها أيضاً هدفاً دائماً للقوى الساعية للسيطرة على طرق التجارة والممرات العسكرية.

الكورد في المصادر الساسانية والإسلامية المبكرة

تظهر كلمة كورد في عدد من المصادر المتأخرة للدولة الساسانية والمصادر الإسلامية المبكرة بوصفها وصفاً لجماعات وقبائل جبلية رعوية ومحاربة استوطنت مناطق زاغروس والجبال المجاورة.وطبعا هنا أنا أنقل ماذا قالت هذه المصادر!

وتشير بعض النصوص إلى وجود زعماء محليين وقبائل تمتعت بدرجات من الاستقلال الذاتي، بينما ارتبطت قبائل أخرى بالإدارة الساسانية من خلال الخدمة العسكرية أو حماية الطرق والممرات الجبلية.

ورغم اختلاف الباحثين حول طبيعة الهوية الكوردية في تلك المرحلة، فإن معظمهم يتفق على وجود جماعات سكانية جبلية إيرانية كانت تشكل النواة التاريخية التي تطورت منها المجتمعات الكوردية اللاحقة.هذا ما تذكره المصادر العربية الاسلامية.

الأوضاع السياسية قبيل الفتح الإسلامي ايضا أنا هنا أنقل ماذا كتبت المصادر العربية الاسلامية عن شعينا الكوردي .الآن أنتقل الى سرد الوقائع من وجهة نظري أنا .

في العقود الأخيرة من عمر الدولة الساسانية دخلت الإمبراطورية في مرحلة من الضعف السياسي والعسكري نتيجة:

الحروب الطويلة مع البيزنطيين.الصراعات على العرش.الأزمات الاقتصادية.التنافس بين الأسر والنخب العسكرية.

وقد انعكس هذا الضعف على المناطق الجبلية أيضاً، حيث ازدادت سلطة الزعماء المحليين، وأصبحت بعض المناطق أقل ارتباطاً بالمركز الساساني في المدائن.

وعندما بدأت الجيوش العربية الإسلامية بالتقدم نحو أرض الكورد في النصف الأول من القرن السابع الميلادي، كانت الدولة الساسانية قد فقدت جزءاً كبيراً من قدرتها على فرض السيطرة الكاملة على أطرافها الجبلية.

كوردستان على أعتاب مرحلة جديدة

بحلول سنة 636م كانت بلاد الكورد تقف أمام تحول تاريخي كبير لم تشهده منذ قرون. فسقوط السلطة الساسانية لم يكن مجرد تغير في الحاكم أو النظام السياسي، بل كان بداية مرحلة جديدة ستعيد تشكيل الخريطة الدينية والسياسية والثقافية للمنطقة بأسرها.

ومن تلك اللحظة ستدخل كوردستان في سلسلة طويلة من التحولات والصراعات التي ستترك آثاراً عميقة على تاريخ الشعب الكوردي خلال القرون اللاحقة.عشية سقوط الدولة الساسانية كانت كوردستان جزءاً من عالم سياسي آخذ في الانهيار. وبين جبال زاغروس والجزيرة العليا عاش شعبنا الكوردي أمام واقع جديد سيغير مسار تاريخه لقرون طويلة. ومن هنا تبدأ المرحلة التالية من كتابي هذا: مرحلة الفتح الإسلامي وما تبعه من تحولات سياسية وعسكرية واجتماعية في بلاد الكورد.

كوردستان في أواخر العهد الساساني - كوردستان عشية سقوط الدولة الساسانية (620–636) ميلادي.

عندما دخل القرن السابع الميلادي عقده الثالث، كانت الدولة الساسانية تواجه

واحدة من أخطر المراحل في تاريخها الطويل. فبعد قرون من السيطرة على مساحات واسعة من الشرق الأدنى، وبعد صراعات متواصلة مع الإمبراطورية البيزنطية، بدأت علامات الضعف تظهر على مؤسسات الدولة وجيشها واقتصادها.

وفي تلك المرحلة كانت كوردستان التاريخية تحتل موقعاً استراتيجياً بالغ الأهمية داخل الدولة الساسانية. فجبال زاغروس الممتدة من أذربيجان جنوباً إلى شهرزور وحلوان وكرمنشاه والموصل شمالاً وغرباً لم تكن مجرد مناطق حدودية، بل كانت تمثل العمق الجبلي الذي يربط الهضبة الإيرانية ببلاد الرافدين والأناضول.

وقد عاشت في هذه المناطق جماعات جبلية ومحاربة لعبت دوراً مهماً في الحياة العسكرية والسياسية للدولة الساسانية، وكانت هذه الجبال تشكل خط الدفاع الطبيعي الأول عن العاصمة الساسانية والمدن الكبرى الواقعة في العراق وفارس.

الموقع الجغرافي لكوردستان الساسانية

امتدت كوردستان في أواخر العصر الساساني عبر مساحة واسعة من الجبال والسهول والوديان، وشملت مناطق أصبحت لاحقاً من أهم المراكز التاريخية للشعب الكوردي.

ومن أبرز هذه المناطق:شهرزور.حلوان.الدينور.كرمنشاه.هولير.أذربيجان الجنوبية.جبال هكاري.الجزيرة العليا.المناطق الجبلية المحيطة بالموصل.

وقد منحت الطبيعة الجبلية لهذه البلاد سكانها قدرة كبيرة على المقاومة والدفاع، كما جعلتها عقدة جغرافية تربط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب.

المجتمع الكوردي في أواخر العصر الساساني

تدل المصادر المتاحة على وجود جماعات مهاجرة عديدة استوطنت زاغروس والمناطق المجاورة منذ قرون طويلة قبل سقوط الدولة الساسانية.

وكانت الحياة الاقتصادية تعتمد على:الزراعة.تربية المواشي.التجارة المحلية.حماية الطرق الجبلية.

كما اشتهرت بعض المناطق بإنتاج الحبوب وتربية الخيول، وهي عناصر جعلت هذه البلاد ذات أهمية عسكرية واقتصادية كبيرة.

وقد حافظت الجماعات المهاجرة على خصوصيتها المحلية رغم خضوعها للسلطة المركزية الساسانية، وهو ما ساعدها لاحقاً على الاستمرار رغم التغيرات السياسية الكبرى التي شهدتها المنطقة.

الجيش الساساني ودور المناطق الجبلية

اعتمدت الدولة الساسانية على جيش قوي يعد من أقوى جيوش العالم في زمانه.

وتكون الجيش من:الفرسان المدرعين.قوات المشاة.الحاميات الحدودية.القوات المحلية التابعة للأقاليم المختلفة.

وكانت المناطق الجبلية في كوردستان مصدراً مهماً للمقاتلين بسبب طبيعة سكانها وخبرتهم في القتال والحركة داخل التضاريس الوعرة.

ولهذا السبب أولى الساسانيون اهتماماً كبيراً بالممرات الجبلية والقلاع المنتشرة في زاغروس.

الأزمة الساسانية قبل سنة 636م

رغم قوة الدولة الساسانية، فإن العقود الأخيرة قبل سقوطها شهدت أزمات متلاحقة.

ومن أبرز هذه الأزمات:الحروب الطويلة مع البيزنطيين.استنزاف الخزينة.الصراعات على العرش.تزايد نفوذ القادة العسكريين.اضطراب الإدارة المركزية.

وقد انعكست هذه الأوضاع على مختلف أنحاء الدولة لساسانية .

كوردستان على أعتاب التحول الكبير

بحلول سنة 636م كانت المنطقة بأسرها تقف أمام لحظة تاريخية فاصلة.

ففي الجنوب كانت الجيوش العربية الإسلامية قد بدأت توسعها خارج شبه الجزيرة العربية.

وفي الشرق كانت الدولة الساسانية تحاول الحفاظ على تماسكها بعد سنوات من الأزمات.

أما الشعب وجد نفسه في قلب هذا التحول التاريخي، إذ كانت الطرق الجبلية والمدن الواقعة بين العراق وزاغروس تمثل جزءاً أساسياً من مسرح الأحداث القادمة.

ولم يكن أحد في تلك السنوات يدرك أن المنطقة مقبلة على سلسلة طويلة من التحولات السياسية والعسكرية التي ستغير وجه الشرق الأوسط لقرون عديدة.

كانت الدولة الساسانية عشية سنة 636م تقترب من نهايتها. وبين الجبال والوديان والمدن القديمة عاش سكان البلاد مرحلة انتقالية ستفتح الباب أمام عصر جديد من الصراعات والتحولات. ومن هنا تبدأ المرحلة التالية من كتابي هذا، حيث ستدخل الدولة الساسانية في مواجهة مصيرية ستحدد مستقبل المنطقة بأكملها.

معركة الجسر (634م)
أول انتصار ساساني كبير على الجيوش العربية الإسلامية

في السنوات الأولى التي أعقبت وفاة النبي محمد (ص) سنة 632م، بدأت الدولة الإسلامية الناشئة بالتوسع خارج شبه الجزيرة العربية. وكانت أرض الساسانيين من أوائل المناطق التي تحولت إلى ساحة مواجهة بين العرب المسلمين والدولة الساسانية.

وخلال تلك المرحلة لم تكن الحرب قد حُسمت لأي طرف. فالدولة الساسانية، رغم ما أصابها من ضعف واضطرابات، ما زالت تمتلك جيشاً ضخماً وخبرة عسكرية تراكمت عبر قرون طويلة من الحروب مع الرومان والقبائل الحدودية.

أما الجيوش العربية فكانت تخوض أولى تجاربها خارج الجزيرة العربية، معتمدة على سرعة الحركة وروح القتال والقيادة الميدانية.

منطقة ما بين النهرين قبل المعركة:

كانت منطقة ما بين النهرين في ذلك الوقت يمثل القلب الاقتصادي للدولة الساسانية.

لقد تحركات الجيوش بعد سلسلة من الاشتباكات العسكرية في سواد ايراك، قررت القيادة الساسانية تنظيم هجوم واسع لوقف التقدم العربي.

وتولى القيادة الساسانية القائد الشهير:

بهمن جاذويه

أحد أبرز قادة الجيش الساساني في تلك المرحلة.

أما القوات العربية فقادها:

أبو عبيد الثقفي

الذي كان قد تقدم نحو مناطق الفرات على أمل تثبيت الوجود العربي في أرض الكورد.

أرض المعركة:

وقعت المعركة قرب نهر الفرات عند جسر أقيم لعبور القوات.

ومن هذا الجسر أخذت المعركة اسمها التاريخي:

معركة الجسر.

وكان موقع المعركة عاملاً مهماً في مجريات القتال، إذ حدّ النهر من قدرة القوات على المناورة أثناء الانسحاب.

سير المعركة

بدأ القتال بعنف شديد بين الطرفين.

ودفعت القيادة الساسانية بقواتها المدرعة وفِيَلة الحرب إلى ساحة المعركة.

وكان استخدام الفِيَلة أحد العناصر التي أثرت بقوة في سير القتال، إذ لم تكن القوات العربية معتادة على مواجهة هذا النوع من القوات.

ومع اشتداد القتال قُتل أبو عبيد الثقفي أثناء محاولته مهاجمة أحد الفيلة.

وأدى مقتله إلى اضطراب صفوف الجيش العربي.

ومع ازدياد الضغط الساساني بدأت القوات العربية بالتراجع نحو الجسر.

الانتصار الساساني

انتهت المعركة بانتصار واضح للقوات الساسانية.

وخسر العرب عدداً كبيراً من المقاتلين.

كما سقط عدد آخر أثناء محاولة الانسحاب عبر الجسر والنهر.

وتُعد هذه المعركة واحدة من أكبر الانتصارات الساسانية خلال حروب الفتح الإسلامي.

بل يصفها عدد من المؤرخين بأنها الهزيمة العربية الأشد في الجبهة قبل معركة القادسية.

إن نتائج المعركة كانت موضع متابعة من مختلف الأقاليم التابعة للدولة الساسانية.

فقد أعطى الانتصار أملاً بإمكانية إيقاف التوسع العربي.

كما عزز ثقة المناطق الجبلية والحدودية بقدرة الدولة الساسانية على الدفاع عن أراضيها.

غير أن هذا الانتصار لم ينجح في إنهاء الحرب.

فبعد أشهر قليلة فقط عادت المواجهات من جديد.

ما بعد الجسر

لم تستثمر الدولة الساسانية انتصارها بالشكل الذي يسمح بتغيير مسار الحرب بصورة نهائية.

فالأزمات الداخلية والصراعات السياسية استمرت داخل الإمبراطورية.

وفي المقابل أعادت القوات العربية تنظيم صفوفها بسرعة.

وبدأت مرحلة جديدة من الصراع ستقود إلى معركة أخرى لا تقل أهمية:

مثلت معركة الجسر ذروة القدرة العسكرية الساسانية في مواجهة التوسع العربي الإسلامي. فقد أثبت الجيش الساساني أنه ما زال قادراً على تحقيق الانتصارات رغم الأزمات التي كانت تعصف بالدولة. غير أن الانتصار العسكري وحده لم

يكن كافياً لإنقاذ الإمبراطورية، إذ كانت التحديات الداخلية أكبر من أن تُحسم في ساحة معركة واحدة.

معركة البويب (635م)
بداية التحول الاستراتيجي قبل القادسية

لم تؤدِّ معركة الجسر إلى إنهاء الحرب بين الدولة الساسانية والقوات العربية الإسلامية. فعلى الرغم من الانتصار الساساني الكبير، بقيت أسباب الصراع قائمة، واستمرت الجيوش المتقابلة في الاستعداد لجولة جديدة من المواجهة.

وخلال الأشهر التي تلت معركة الجسر، حاول كل طرف إعادة تنظيم قواته والاستفادة من أخطاء المرحلة السابقة. وبينما كانت الدولة الساسانية تواجه صراعات سياسية داخلية متزايدة، عملت القيادة العربية على إعادة بناء جيشها واستعادة زمام المبادرة.

الوضع الساساني بعد الجسرمن الناحية العسكرية حقق الساسانيون انتصاراً مهماً، لكن الأوضاع الداخلية للإمبراطورية لم تكن مستقرة.فقد استمرت:الخلافات داخل البلاط الساساني.الصراعات بين كبار القادة.التنافس على النفوذ والسلطة.الاضطرابات الإدارية في بعض الأقاليم.

وكانت هذه المشكلات تستهلك جزءاً كبيراً من طاقة الدولة في وقت كانت تحتاج فيه إلى توحيد جهودها لمواجهة الخطر الخارجي.

إعادة تنظيم القوات العربية

بعد هزيمة الجسر أعادت القوات العربية ترتيب صفوفها تحت قيادة:

المثنى بن حارثة الشيباني

الذي كان من أكثر القادة خبرة بالجبهة العراقية.

وعمل المثنى على:جمع القوات المتفرقة.رفع الروح المعنوية للمقاتلين.دراسة نقاط القوة والضعف في الجيش الساساني.الاستعداد لمعركة جديدة.نحو البويب .تقع منطقة البويب قرب نهر الفرات، في منطقة كانت تشكل ممراً مهماً بين ايراك الداخلي ومناطق القتال.

وعندما تحركت القوات الساسانية لمواجهة الجيش العربي مرة أخرى، وجد الطرفان نفسيهما أمام معركة جديدة ستؤثر في مسار الحرب بأكملها.

القادة المتواجهون

القوات الساسانية:

مهران بن باذان

أحد القادة البارزين في الجيش الساساني.

القوات العربية:

المثنى بن حارثة الشيباني

الذي تولى قيادة الجيش العربي بعد أحداث الجسر.

سير المعركة بدأ القتال بعنف شديد واستمر ساعات طويلة.

وتشير المصادر إلى أن المعركة شهدت هجمات متبادلة ومحاولات متكررة لاختراق صفوف الخصم.

وعلى خلاف معركة الجسر، تمكنت القوات العربية هذه المرة من المحافظة على تماسكها وعدم الوقوع في الفوضى التي أعقبت مقتل قائدها في المعركة السابقة.

ومع استمرار القتال بدأت الكفة تميل تدريجياً لصالح الجيش العربي.

خلال المعركة قُتل القائد الساساني مهران.

وكان لمقتله أثر كبير على سير القتال.

إذ أدى فقدان القيادة إلى اضطراب جزء من القوات الساسانية، وساهم في تحول ميزان المعركة لصالح القوات العربية.

نتائج المعركة

انتهت معركة البويب بانتصار عربي مهم.

وقد اعتبرها كثير من المؤرخين نقطة تحول رئيسية بعد هزيمة الجسر.

ومن أبرز نتائجها:استعادة الثقة داخل الجيش العربي.تراجع النفوذ العسكري الساساني في بعض المناطق.فتح الطريق نحو المواجهات الكبرى القادمة.انتقال المبادرة الاستراتيجية إلى الجانب العربي.

انعكاسات المعركة على الشعب بكل عام :أدركت الأقاليم أن الحرب دخلت مرحلة جديدة.

فبعد أن بدا عقب معركة الجسر أن الساسانيين قادرون على إيقاف التقدم العربي، جاءت البويب لتظهر أن ميزان القوى ما زال مفتوحاً على جميع الاحتمالات.

وبدأت أخبار المعارك تصل إلى المدن والجبال الواقعة شرق ايراك، حيث راقبت النخب المحلية التطورات بقلق متزايد.الطريق إلى القادسية بعد البويب لم تعد المواجهة مجرد سلسلة من الغارات والاشتباكات الحدودية.بل بدأت الحرب تتجه نحو صدام شامل سيحدد مصير الدولة الساسانية بأسرها.وخلال السنة التالية أخذ الطرفان يستعدان لمعركة ستصبح واحدة من أشهر المعارك في تاريخ الشرق الأوسط: مثلت معركة البويب بداية التحول الحقيقي في مسار الحرب. فبعد الانتصار الساساني في الجسر، نجحت القوات العربية في استعادة المبادرة وإعادة رسم ميزان القوى. ومن هذه اللحظة بدأت الدولة الساسانية تفقد تدريجياً قدرتها على فرض السيطرة الكاملة على الجبهات المتعددة، لتدخل الحرب مرحلة جديدة ستقود مباشرة إلى القادسية وسقوط الدولة الساسانية.

يزدجرد الثالث والدولة الساسانية في سنواتها الأخيرة
(636–635)م

بين معركة البويب ومعركة القادسية كانت الدولة الساسانية تعيش أخطر مراحل تاريخها منذ تأسيسها على يد أردشير بن بابك قبل أكثر من أربعة قرون.

فعلى الرغم من اتساع الإمبراطورية وقوة تراثها السياسي والعسكري، كانت الدولة قد دخلت مرحلة من الاضطراب المستمر، وأصبحت تواجه تحديات داخلية وخارجية تهدد وجودها ذاته.

وفي هذه الظروف وجد الملك يزدجرد الثالث نفسه أمام مهمة شبه مستحيلة: إنقاذ دولة مترامية الأطراف تتعرض للتفكك من الداخل والضغط العسكري من الخارج.

كان يزدجرد الثالث آخر ملوك الدولة الساسانية.

وتولى الحكم سنة 632م في فترة اتسمت بالفوضى السياسية وتغير الملوك بسرعة كبيرة.

فخلال السنوات التي سبقت اعتلاءه العرش شهدت الإمبراطورية:انقلابات متكررة.صراعات بين الأسر النافذة.تنافساً بين القادة العسكريين.ضعفاً متزايداً في السلطة المركزية.

وعندما أصبح يزدجرد ملكاً كانت الدولة قد استنزفت جزءاً كبيراً من مواردها البشرية والاقتصادية.

آثار الحرب البيزنطية الساسانية

قبل ظهور الجيوش العربية بسنوات قليلة كانت الدولة الساسانية قد خاضت حرباً طويلة ومرهقة ضد الإمبراطورية البيزنطية.

واستمرت تلك الحرب لعقود وأدت إلى:خسائر بشرية كبيرة.استنزاف الخزينة.تراجع التجارة.ضعف الإدارة في بعض المناطق.

ورغم أن الساسانيين حققوا في مراحل معينة نجاحات عسكرية مهمة، فإن الثمن الذي دفعته الإمبراطورية كان باهظاً.

ومع تراجع سلطة الدولة المركزية بدأت بعض المناطق الجبلية تعتمد بصورة أكبر على الزعامات المحلية والقوى الإقليمية.

ومع ذلك ظلت طرق التجارة والممرات الجبلية والقلاع المنتشرة في زاغروس تؤدي دوراً مهماً في حماية حدود الإمبراطورية.

كما استمرت شعوب المنطقة في تزويد الجيش بالمقاتلين الذين شاركوا في الدفاع عن الدولة خلال سنواتها الأخيرة.

محاولة إعادة بناء الجيش أدرك يزدجرد الثالث أن استمرار التراجع العسكري سيؤدي إلى نتائج خطيرة.

ولهذا حاول إعادة تنظيم القوات الساسانية وتوحيد الجهود العسكرية.

وشملت هذه الجهود:جمع القوات من مختلف الأقاليم.إعادة تعبئة الجيوش.استدعاء القادة العسكريين.تعزيز الدفاع عن جميع الآراضي

لكن الانقسامات الداخلية جعلت تنفيذ هذه الخطط أكثر صعوبة.

في هذه المرحلة برز اسم:رستم فرخزاد بوصفه أحد أهم القادة العسكريين في الدولة الساسانية.

وكان يتمتع بخبرة واسعة ونفوذ كبير داخل المؤسسة العسكرية.

ورأى كثير من المعاصرين أن مصير الدولة أصبح مرتبطاً بقدرة رستم على تنظيم الدفاع عن الأراضي الساسانية وإيقاف التقدم العربي.بحلول سنة 636م أصبحت الحدود الساسانية مع العرب ساحة الصراع الرئيسية بين الطرفين.

فالعرب رأوا ان تجاوزوا هذه الحدود التي هي بمثابة مفتاح التوسع نحو الشرق.

ولذلك بدأت الاستعدادات لمعركة كبرى كان الجميع يدرك أهميتها.

اقتراب العاصفة في الأشهر الأخيرة التي سبقت القادسية بدأت الجيوش تتجمع من جديد.وكان واضحاً أن المواجهة القادمة لن تكون مجرد معركة حدودية.بل صداماً مصيرياً سيحدد مستقبل جميع المناطق الجغرافية الخاضعة للدولة الساسانية.

وكان كل طرف يعتقد أن المعركة القادمة قد تكون الفرصة الأخيرة لتغيير مسار الحرب.

دخلت الدولة الساسانية سنة 636م وهي تحمل إرث أربعة قرون من الحكم والقوة، لكنها كانت تواجه في الوقت نفسه أزمات داخلية عميقة وحرباً متصاعدة على حدودها الغربية. وفي ظل هذه الظروف برز يزدجرد الثالث ورستم فرخزاد بوصفهما آخر رمزين للدولة الساسانية في مواجهة واحدة من أكثر المعارك تأثيراً في تاريخ المنطقة، وهي معركة القادسية.

معركة القادسية (636م)
سقوط وانهزام الدولة الساسانية ,تُعد معركة القادسية واحدة من أهم المعارك في تاريخ الشرق الأوسط. ففيها التقت الدولة الساسانية، التي حكمت المنطقة لأكثر من أربعة قرون، مع الدولة الإسلامية الناشئة التي كانت تتوسع بسرعة خارج الجزيرة العربية.

ولم تكن القادسية مجرد مواجهة عسكرية بين جيشين، بل كانت صراعاً بين نظامين سياسيين وعالمين مختلفين، وستؤدي نتائجها إلى تغيرات عميقة امتدت آثارها إلى جميع المناطق الخاضعة للساسانيين, وسائر مناطق المشرق.

الاستعداد للمعركة

بعد معركة البويب أدرك الطرفان أن المواجهة الحاسمة أصبحت قريبة.

فأصدر الملك يزدجرد الثالث أوامره بحشد القوات من مختلف أنحاء الإمبراطورية.

وتجمع الجيش الساساني تحت قيادة:

رستم فرخزاد

الذي كان يُعد أقوى شخصية عسكرية في الدولة الساسانية آنذاك.

أما القوات العربية فتجمعت بقيادة:

سعد بن أبي وقاص

الذي تولى قيادة الجيش العربي.

موقع القادسية

وقعت المعركة في منطقة القادسية الواقعة غرب الفرات بالقرب من الطرق المؤدية إلى المدائن.

وكان اختيار الموقع مهماً للطرفين، لأن السيطرة عليه تعني فتح الطريق نحو قلب الدولة الساسانية.

الجيش الساساني

تذكر المصادر أرقاماً مختلفة حول حجم الجيش الساساني.

لكن المؤكد أن الجيش ضم:وحدات من الفرسان المدرعين.قوات مشاة.فرقاً من الرماة.فيلة حربية.قوات جاءت من أقاليم متعددة من الدولة الساسانية.وكانت القيادة الساسانية تراهن على الخبرة العسكرية الطويلة وعلى التفوق التنظيمي للجيش.

الجيش العربي تألف الجيش العربي من مقاتلين قدموا من قبائل متعددة.

وكان يتميز:بسرعة الحركة.المرونة القتالية.وحدة القيادة.الحافز الديني والعسكري.

ورغم أن موارده كانت أقل من موارد الدولة الساسانية، فإنه كان قد اكتسب خبرة كبيرة خلال سنوات القتال السابقة.

استمرت المعركة عدة أيام.

وشهدت:هجمات متبادلة.قتالاً عنيفاً بين الفرسان.استخدام الفيلة الحربية.محاولات مستمرة لاختراق صفوف الخصم.

وكانت الفيلة الساسانية في البداية عاملاً مهماً في إرباك القوات العربية، كما حدث سابقاً في معركة الجسر.

لكن العرب تمكنوا تدريجياً من تطوير أساليب لمواجهة هذه الفيلة وإخراجها من ساحة المعركة.مقتل رستم فرخزاد مثّل مقتل رستم فرخزاد نقطة التحول الكبرى في القادسية.فبعد أيام من القتال سقط القائد الساساني خلال المعركة.وأدى مقتله إلى اضطراب القيادة العسكرية وانهيار جزء من تنظيم الجيش الساساني.ومع فقدان القيادة العليا بدأت القوات الساسانية بالتراجع.انهيار الجبهة الساسانية بعد مقتل رستم فقد الجيش الساساني قدرته على مواصلة القتال المنظم.وانسحبت القوات نحو الشرق.

وبذلك انتهت القادسية بانتصار عربي حاسم.

وكانت هذه النتيجة أخطر بكثير من مجرد خسارة معركة، لأنها فتحت الطريق نحو المدائن عاصمة الدولة الساسانية.

وأدركت المدن والقيادات المحلية أن الدولة الساسانية دخلت مرحلة الخطر الوجودي .والطريق إلى المدائن

بعد القادسية أصبح الطريق مفتوحاً أمام القوات العربية نحو المدائن.

ولم تعد المعركة تدور حول السيطرة على منطقة حدودية أو مدينة واحدة.

بل أصبحت الحرب تدور حول بقاء الدولة الساسانية نفسها.

ومن هذه اللحظة بدأت المرحلة التي ستقود إلى سقوط العاصمة الساسانية ثم انهيار الإمبراطورية بأكملها.

كانت القادسية أكثر من مجرد معركة عسكرية. لقد شكلت نقطة تحول كبرى في تاريخ المنطقة، إذ فتحت الباب أمام نهاية الحكم الساساني، ووضعت جميع المناطق أمام واقع سياسي جديد. ومنذ سنة 636م بدأت مرحلة تاريخية مختلفة ستغير مصير المنطقة لقرون طويلة، وتفتح فصلاً جديداً من الصراعات والتحولات التي ستتناولها الفصول القادمة.

سقوط المدائن (637م)
نهاية العاصمة الساسانية وبداية الانسحاب نحو زاغروس

بعد معركة القادسية دخلت الحرب مرحلة جديدة أكثر خطورة بالنسبة للدولة الساسانية. فالهزيمة لم تعد مقتصرة على خسارة جيش أو قائد عسكري، بل أصبحت تهدد قلب الإمبراطورية ومركز إدارتها السياسي والاقتصادي.

وكانت المدائن تمثل رمز الدولة الساسانية وقلبها النابض. فمنها حكم الملوك الساسانيون إمبراطوريتهم الواسعة، ومنها أُديرت شؤون البلاد لقرون طويلة.

ولهذا فإن سقوط المدائن لم يكن حدثاً عسكرياً فحسب، بل كان زلزالاً سياسياً أصاب الإمبراطورية بأكملها.

المدائن كانت المدائن تقع على ضفاف نهر دجلة.

وتألفت من مجموعة مدن متجاورة شكلت معاً العاصمة الساسانية.

ومن أشهر معالمها:إيوان كيخسرو.والقصور الملكية.الدواوين الحكومية.المراكز الاقتصادية.المخازن العسكرية.

وكانت المدائن تمثل أغنى مدن الإمبراطورية وأكثرها أهمية.

انسحاب يزدجرد الثالث

بعد نتائج القادسية أدرك الملك يزدجرد الثالث أن بقاءه في العاصمة أصبح محفوفاً بالمخاطر.

ولهذا قرر مغادرة المدائن والتوجه شرقاً لإعادة تنظيم الدولة وجمع قوات جديدة.

وكان هذا القرار اعترافاً عملياً بأن العاصمة لم تعد قادرة على الصمود طويلاً.

دخول القوات العربية

مع اقتراب القوات العربية من المدائن بدأت الاستعدادات الأخيرة داخل المدينة.

لكن حالة الاضطراب التي أعقبت القادسية جعلت الدفاع عن العاصمة أكثر صعوبة.

وبعد سلسلة من العمليات العسكرية تمكنت القوات العربية من دخول المدائن سنة 637م.

وبذلك انتهى عهد العاصمة الساسانية بوصفها مركز الحكم الرئيسي للإمبراطورية.

سقوط المركز السياسي للدولة مثّل سقوط المدائن ضربة قاسية للدولة الساسانية.

فقد خسرت الإمبراطورية:العاصمة.مركز الإدارة.جزءاً كبيراً من الخزينة.عدداً من المنشآت العسكرية والسياسية.

وأصبح الملك يزدجرد الثالث ملكاً بلا عاصمة فعلية.

الطريق نحو زاغروس

بعد سقوط المدائن بدأت الأنظار تتجه نحو المناطق الجبلية الواقعة شرقا,وكانت جبال زاغروس تشكل خط الدفاع الطبيعي الأخير أمام تقدم القوات العربية.ولهذا أصبحت المدن والممرات ذات أهمية متزايدة في الحسابات العسكرية للطرفين.

فكل طريق جبلي وكل حصن وكل مدينة بات يمثل جزءاً من الصراع على مستقبل الدولة الساسانية.

إعادة تنظيم المقاومة الساسانية

رغم سقوط العاصمة لم يستسلم يزدجرد الثالث.

فقد حاول:جمع القوات المتبقية.إعادة بناء الجيش.الاستفادة من الطبيعة الجبلية لزاغروس.تنظيم خطوط دفاع جديدة.

وكان الأمل الساساني يتمثل في إيقاف التقدم العربي داخل الممرات الجبلية وإعادة التوازن إلى الحرب.

بداية المرحلة الزاغروسية

يمكن اعتبار سنة 637م بداية مرحلة جديدة في تاريخ الصراع.

فبعد السقوط ا الساساني أصبحت زاغروس والمناطق الآخرى تمثلان الساحة الرئيسية المتبقية للدفاع عن الدولة.

ومن هنا بدأت الحرب تقترب أكثر فأكثر من المناطق التي سيتناولها هذا الكتاب بوصفها جزءاً من التاريخ الكوردي في القرون اللاحقة.

أدى سقوط المدائن إلى انهيار المركز السياسي للدولة الساسانية، لكنه لم ينهِ الحرب. فقد انتقلت المواجهة من سهول ايراك إلى جبال زاغروس، حيث حاول يزدجرد الثالث والقوى الساسانية المتبقية الدفاع عن ما تبقى من الإمبراطورية.

وهنا تظهر المقاومة في كل من :
حلوان وشهرزور والجبال الكوردية في مواجهة التوسع العربي
637–642 م

لم يؤدِّ سقوط المدائن إلى نهاية المقاومة الساسانية، بل نقل مركز الصراع من سهول ايراك إلى الجبال الممتدة شرقاً وشمالاً. فبينما أصبحت المدن الكبرى في ايراك تحت سيطرة العرب، بقيت مناطق زاغروس ومناطق آخرى تشكل حاجزاً طبيعياً صعب الاختراق.

وفي تلك السنوات أصبحت الجبال الكوردية آخر خطوط الدفاع الطبيعية التي يمكن من خلالها إبطاء التقدم العسكري القادم من الغرب.

أهمية زاغروس العسكرية

منذ أقدم العصور أدركت القوى الحاكمة أهمية جبال زاغروس.

فهي: تشكل سداً طبيعياً بين ايراك والهضبة الإيرانية.

تحتوي على ممرات محدودة يسهل الدفاع عنها.

تضم حصوناً ومواقع مرتفعة.

تمنح المدافعين أفضلية كبيرة على الجيوش المهاجمة.

ولهذا السبب تحولت زاغروس بعد سقوط المدائن إلى محور الاستراتيجية الساسانية الجديدة.

حلوان

كانت حلوان من أهم مدن الحدود بين ايراك وزاغروس.

وتحكمت في طرق العبور المؤدية إلى الداخل الإيراني.

وبعد سقوط المناطق في ايراك أصبحت المدينة هدفاً رئيسياً للقوات العربية التي كانت تسعى إلى تأمين الممرات الشرقية ومنع إعادة تنظيم المقاومة الساسانية.

وشهدت المنطقة المحيطة بحلوان سلسلة من التحركات العسكرية والاشتباكات المتفرقة خلال هذه المرحلة.

شهرزور

كانت منطقة شهرزور من أبرز المناطق الجبلية الواقعة بين ايراك ومرتفعات الجبال الكوردية

واكتسبت أهميتها من:موقعها الاستراتيجي.أراضيها الزراعية.الطرق التي تربط بين الجبال والسهول.

ومع تقدم الحرب بدأت المنطقة تستقبل أعداداً من المقاتلين والنازحين الفارين من مناطق القتال الواقعة غرباً.

الحرب في الجبال

اختلفت طبيعة القتال في زاغروس عن المعارك المفتوحة التي شهدتها القادسية والجسر والبويب.

ففي الجبال أصبحت:الممرات الضيقة.الوديان.المرتفعات.الحصون الطبيعية.

عوامل حاسمة في سير العمليات العسكرية.

وأصبح التقدم أبطأ وأكثر صعوبة من الحملات السابقة.

محاولات إعادة بناء القوة الساسانية واصل يزدجرد الثالث جهوده لإعادة تنظيم ما تبقى من الدولة.

وكان يأمل أن توفر له المناطق الجبلية الوقت الكافي من أجل:جمع قوات جديدة.إعادة بناء الجيش.استعادة زمام المبادرة.

لكن الظروف السياسية والعسكرية لم تكن تعمل لصالحه.

فالإمبراطورية كانت قد فقدت أجزاء واسعة من مواردها البشرية والاقتصادية.

السكان المحليون والحرب

تحملت المناطق الواقعة في زاغروس والمناطق الآخرى جزءاً متزايداً من أعباء الحرب.

فمع انتقال المواجهة إلى الجبال بدأت تظهر آثار:النزوح.اضطراب التجارة.تراجع الأمن في بعض الطرق.زيادة الأعباء العسكرية على السكان.وكانت هذه التطورات تمثل بداية مرحلة طويلة من التحولات التي ستشهدها المنطقة خلال العقود التالية.

رغم استمرار القتال، أصبحت المؤشرات تدل على أن الدولة الساسانية تفقد قدرتها على استعادة ما خسرته.

فكل معركة جديدة كانت تستنزف ما تبقى من مواردها.

وكل منطقة تسقط كانت تقلل من فرص العودة إلى الوضع السابق.

ومع ذلك بقيت زاغروس تشكل آخر فضاء واسع للمقاومة المنظمة.

بحلول أوائل أربعينيات القرن السابع الميلادي كانت الحرب قد دخلت مرحلة جديدة.

فلم يعد السؤال المطروح:

هل ستخسر الدولة الساسانية بعض الأراضي؟

بل أصبح السؤال:

هل ستتمكن الدولة الساسانية من البقاء أصلاً؟

وكانت الإجابة ستتضح خلال واحدة من أهم المعارك في تاريخها المتأخر:

معركة نهاوند.

أصبحت زاغروس بعد سقوط المدائن قلب المقاومة الساسانية ومركز الأمل الأخير في وقف التقدم العربي. وبين حلوان وشهرزور والجبال الكوردية دارت مرحلة جديدة من الصراع اتسمت بالقتال في الممرات والمرتفعات والحصون الطبيعية. لكن الزمن كان يعمل ضد الدولة الساسانية، وكانت المواجهة الكبرى التالية تقترب بسرعة، حاملة معها نتائج ستغير تاريخ المنطقة بأسرها.

معركة نهاوند (642م)
المواجهة الأخيرة وسقوط الدولة الساسانية عملياً

بعد سنوات من القتال المتواصل،وسقوط المدائن وتراجع النفوذ الساساني في زاغروس، أدرك يزدجرد الثالث أن الدولة تقف أمام لحظة مصيرية.

فإذا نجحت الإمبراطورية في إيقاف التقدم العربي عند نهاوند، فقد تتمكن من استعادة بعض قوتها المفقودة.

أما إذا خسرت المعركة، فإن بقاء الدولة الساسانية نفسها سيصبح موضع شك.

ومن هنا بدأت الاستعدادات لما اعتبره كثير من المعاصرين آخر محاولة كبرى لإنقاذ الإمبراطورية.

تقع نهاوند في منطقة استراتيجية جنوب غربي الهضبة الإيرانية، بالقرب من الطرق المؤدية إلى زاغروس وداخل إيران.

وكانت المدينة تمثل عقدة مواصلات مهمة بين: ايراك .كرمنشاه.همدان.الداخل الإيراني.

ولهذا اختارها الساسانيون لتكون مركز التجمع الرئيسي لقواتهم.

الحشد الساساني الأخير

عمل يزدجرد الثالث على جمع ما تبقى من قوة الدولة.

وتوافدت إلى نهاوند قوات من أقاليم متعددة.

وكان الهدف واضحاً:

إيقاف التوسع العربي وإعادة التوازن العسكري.

ورغم اختلاف المصادر في تقدير أعداد الجيوش، فإن المؤكد أن الدولة الساسانية حشدت واحداً من أكبر جيوشها خلال سنواتها الأخيرة.

الجيش العربي

في المقابل دفعت الدولة الإسلامية بقوات كبيرة إلى الجبهة الشرقية.

وكان القادة العرب يدركون أن نتيجة هذه المعركة ستحدد مستقبل الحرب بأكملها.

ولهذا جرى إعداد الحملة بعناية، مع التركيز على استغلال نقاط الضعف التي ظهرت داخل الدولة الساسانية خلال السنوات السابقة.

بداية القتال

تحصنت القوات الساسانية في مواقع دفاعية قوية.

وكانت تراهن على:طبيعة الأرض.كثافة القوات.القدرة على استنزاف المهاجمين.

لكن العرب تمكنوا من جر القوات الساسانية إلى مواجهة مفتوحة بعد سلسلة من المناورات العسكرية.

انهيار الخطة الساسانية

مع تطور المعركة بدأت خطوط الدفاع الساسانية تتعرض لضغط متزايد.

وأدت حالة الإرهاق التي أصابت الدولة خلال السنوات السابقة إلى إضعاف قدرتها على تعويض الخسائر أو إعادة تنظيم الصفوف بسرعة.

ومع استمرار القتال بدأت الكفة تميل لصالح القوات العربية.

انتهت معركة نهاوند بانتصار عربي كبير.

وكانت نتائجها أخطر من نتائج أي معركة سابقة منذ القادسية.

فبعد نهاوند لم تعد الدولة الساسانية قادرة على تنظيم جيش ضخم جديد يستطيع مواجهة خصومها في معركة فاصلة.

ولهذا اعتبر كثير من المؤرخين أن نهاوند كانت النهاية العملية للقوة العسكرية الساسانية.

شكّلت نهاوند نقطة تحول عميقة بالنسبة للمناطق الكوردية وزاغروس.

فبعد سقوط خطوط الدفاع الرئيسية أصبحت الطرق المؤدية إلى الداخل مفتوحة بصورة أكبر.

كما بدأت السلطة الساسانية تفقد نفوذها تدريجياً في المناطق الجبلية التي كانت تعتمد عليها خلال سنوات الحرب الأخيرة.

وأصبحت أرض الكورد تدخل مرحلة جديدة من تاريخها السياسي والإداري.

يزدجرد الثالث بعد نهاوند

لم يُقتل يزدجرد الثالث في نهاوند.

بل واصل التنقل بين الأقاليم الشرقية محاولاً الحفاظ على ما تبقى من الدولة.

لكن سلطته أصبحت أضعف بكثير مما كانت عليه.

وأصبحت الإمبراطورية تتفكك إقليماً بعد إقليم.

بعد نهاوند لم تعد القضية تتعلق بإنقاذ الدولة الساسانية، بل بكيفية انهيارها.

فالقلاع والمدن التي بقيت خارج السيطرة العربية أصبحت معزولة عن بعضها.

وتراجعت قدرة الحكومة المركزية على إدارة البلاد.

وبدأت مرحلة جديدة ستنتهي بعد سنوات قليلة بمقتل يزدجرد الثالث وانتهاء الحكم الساساني رسمياً.

كانت معركة نهاوند آخر محاولة كبرى قامت بها الدولة الساسانية للدفاع عن وجودها. ومع الهزيمة التي تعرضت لها فقدت الإمبراطورية قدرتها على خوض حرب شاملة جديدة، ودخلت مرحلة التفكك النهائي. ومن هذه اللحظة بدأت كوردستان، كما سائر مناطق زاغروس، تنتقل تدريجياً من عالم ساساني استمر أكثر من أربعة قرون إلى واقع سياسي جديد سيطبع تاريخ المنطقة خلال القرون التالية.

سقوط الدولة الساسانية ومقتل يزدجرد الثالث
(642–651) م

بعد هزيمة نهاوند دخلت الدولة الساسانية مرحلتها الأخيرة. فلم تعد الإمبراطورية التي حكمت الشرق لأكثر من أربعة قرون قادرة على استعادة توازنها العسكري

أو السياسي، وأصبحت المعارك التي تلت نهاوند تدور في إطار الدفاع عن ما تبقى من الدولة، لا في إطار استعادة ما فُقد منها.

وخلال السنوات التسع التالية شهدت مناطق زاغروس وكوردستان والهضبة الإيرانية تحولات متسارعة أنهت واحدة من أعظم دول الشرق القديم.

يزدجرد الثالث بعد نهاوند

بعد الهزيمة غادر يزدجرد الثالث المناطق الغربية واتجه شرقاً بحثاً عن الدعم وإعادة تنظيم ما تبقى من السلطة الساسانية.

وتنقل بين:همدان.الري.أقاليم خراسان.مدن الشرق الإيراني.

وكان يأمل في جمع قوات جديدة وإحياء المقاومة.

لكن الواقع كان مختلفاً.

فالأقاليم بدأت تتصرف بصورة مستقلة، والنفوذ الملكي أخذ يتراجع عاماً بعد عام.

انهيار الإدارة الساسانية

لم يكن سقوط الدولة نتيجة الهزائم العسكرية فقط.

بل جاء أيضاً نتيجة انهيار البنية الإدارية التي حافظت على الإمبراطورية لقرون طويلة.

فقد بدأت:شبكات الجباية بالضعف.الحاميات بالتفكك.الولاءات المحلية بالتغير.طرق الاتصال بين الأقاليم بالانقطاع.

ومع مرور الوقت أصبحت الحكومة المركزية عاجزة عن فرض قراراتها على مساحات واسعة من البلاد.

كوردستان بعد نهاوند

في هذه المرحلة أصبحت كوردستان أمام واقع جديد.

فالدولة التي كانت تمثل السلطة العليا في المنطقة فقدت جزءاً كبيراً من قدرتها على إدارة الأقاليم الجبلية.

وبدأت القوى المحلية والزعامات الإقليمية تلعب دوراً أكبر في إدارة شؤون المناطق المختلفة.

كما أصبحت بعض المدن والطرق الجبلية تدخل تدريجياً ضمن النظام الإداري الجديد الذي أخذ يتشكل مع توسع الدولة الإسلامية.

السنوات الأخيرة للإمبراطورية

بين 642 و651م استمرت عملية التفكك بصورة متسارعة.

ففي كل عام تقريباً كانت الدولة الساسانية تفقد جزءاً إضافياً من أراضيها أو نفوذها.

ولم تعد هناك جبهة موحدة قادرة على مواجهة التوسع العربي.

وأصبحت الإمبراطورية تعيش على إرثها أكثر مما تعيش على قوتها الفعلية.

مقتل يزدجرد الثالث

في سنة 651م انتهت حياة يزدجرد الثالث، آخر ملوك الدولة الساسانية.

وتختلف الروايات في بعض تفاصيل مقتله، لكن معظم المصادر تتفق على أنه قُتل في خراسان بعد سنوات من التنقل ومحاولات استعادة السلطة.

وبموته انتهى رسمياً الحكم الساساني الذي استمر منذ قيام الدولة على يد أردشير بن بابك سنة 224م.

نهاية عصر وبداية عصر

لم يكن مقتل يزدجرد مجرد وفاة ملك.

بل كان نهاية حقبة كاملة من تاريخ الشرق.

فمع سقوط الدولة الساسانية انتهى النظام السياسي الذي حكم مناطق جغرافيا كبيرة لأكثر من أربعة قرون.

وبدأت مرحلة جديدة ستشهد:تغيراً في الإدارة.تغيراً في موازين القوى.تغيراً في البنية الدينية والثقافية والسياسية للمنطقة.

أثر السقوط على كوردستان

كانت كوردستان من المناطق التي تأثرت مباشرة بهذا التحول.

فقد انتقلت من إطار الدولة الساسانية إلى إطار سياسي جديد.

لكن الطبيعة الجبلية للبلاد واستمرار وجود المجتمعات المحلية ساعدا على بقاء كثير من الخصائص الإقليمية رغم التغيرات الكبرى التي شهدتها المنطقة.

وخلال العقود التالية ستبدأ كوردستان بالدخول في مرحلة جديدة من تاريخها، مرحلة اتسمت بإعادة تشكيل السلطة والعلاقات السياسية والاجتماعية في ظل الحكم الإسلامي.

إرث الدولة الساسانية

رغم سقوط الدولة، فإن آثارها لم تختفِ فوراً.

فقد استمرت:نظم إدارية.تقاليد سياسية.أنماط اقتصادية.مراكز حضرية.ورثتها الدول التي جاءت بعدها بدرجات مختلفة.ولهذا بقي تأثير العصر الساساني حاضراً في أجزاء واسعة من الشرق لقرون طويلة بعد زوال الدولة نفسها.في سنة 651م أُسدل الستار على الدولة الساسانية بوفاة آخر ملوكها، وانتهى بذلك فصل كبير من تاريخ الشرق القديم. لكن نهاية الدولة لم تكن نهاية الشعوب التي عاشت في جبال زاغروس وكوردستان، بل كانت بداية مرحلة جديدة من التحولات السياسية والاجتماعية ستترك آثارها العميقة على تاريخ المنطقة. ومن هنا ننتقل إلى دراسة كوردستان في ظل الحكم الإسلامي المبكر وما رافق ذلك من تغيرات وصراعات خلال القرون التالية.

كوردستان في ظل الحكم الإسلامي المبكر
651–750م

كوردستان بعد سقوط الدولة الساسانية
بداية عصر جديد
651–661م

مع وفاة يزدجرد الثالث سنة 651م انتهى الحكم الساساني رسمياً، لكن آثار هذا الحدث لم تقتصر على سقوط أسرة حاكمة أو انهيار إمبراطورية عريقة، بل امتدت إلى مختلف أنحاء المشرق، ومن بينها أرض الكورد التي وجدت نفسها أمام واقع سياسي جديد لم تعرفه من قبل.

فبعد أكثر من أربعة قرون من الارتباط بالدولة الساسانية دخلت البلاد مرحلة انتقالية اتسمت بإعادة تشكيل السلطة والإدارة والعلاقات الاقتصادية والعسكرية.

وكانت السنوات الأولى بعد السقوط من أكثر الفترات حساسية في تاريخ المنطقة.

الفراغ السياسي

في العديد من مناطق زاغروس وكوردستان لم تختفِ السلطات المحلية بين ليلة وضحاها.

فقد بقي:رؤساء العشائر.زعماء القرى.أصحاب الحصون.النخب المحلية.

يمارسون أدواراً مهمة في إدارة شؤون السكان.

لكن السلطة العليا التي كانت تمثلها الدولة الساسانية لم تعد موجودة.

وأدى ذلك إلى ظهور حالة من إعادة ترتيب موازين القوى داخل عدد من المناطق.

الإدارة الجديدة

بدأت الدولة الإسلامية بتنظيم المناطق التي أصبحت تحت سيطرتها.

وشملت هذه العملية:تعيين الولاة.تنظيم الجباية.تأمين الطرق.إنشاء مراكز إدارية جديدة.

وكان الهدف الأساسي هو دمج المناطق المفتوحة ضمن النظام السياسي الجديد الذي أخذ يتشكل في العراق والمشرق.

المدن الكوردية في المرحلة الانتقالية

شهدت مدن كوردستان تحولات متفاوتة خلال هذه الفترة.

فبعض المدن دخلت ضمن النظام الإداري الجديد بسرعة نسبية.

بينما احتفظت مناطق جبلية أخرى بقدر أكبر من الاستقلال الفعلي بسبب طبيعتها الجغرافية وبعدها عن المراكز الكبرى.

وكان هذا التفاوت أحد السمات الأساسية للمرحلة المبكرة من الحكم الإسلامي في كوردستان.

الجبال بوصفها عامل قوة

حافظت جبال كوردستان على دورها التاريخي بوصفها ملاذاً ومجالاً للحركة والاستقلال المحلي.

فقد أثبتت التجارب السابقة أن السيطرة على السهول لا تعني بالضرورة السيطرة الكاملة على الجبال.

ولهذا ظلت بعض المناطق الجبلية تحتفظ بخصوصيتها المحلية لفترات طويلة.

التحولات الاقتصادية

أدت نهاية الحرب الطويلة بين الساسانيين والعرب إلى تغيرات مهمة في الاقتصاد المحلي.

ومن أبرز هذه التغيرات:إعادة فتح بعض الطرق التجارية.تغير أنظمة الجباية.انتقال مراكز النفوذ الاقتصادي.ظهور علاقات جديدة بين المدن والأسواق.

لكن هذه التحولات لم تكن متساوية في جميع المناطق. التحولات الاجتماعية :

شهد المجتمع في كوردستان تغيرات تدريجية خلال العقود الأولى بعد سقوط الدولة الساسانية.

فقد بدأت تظهر:نخب جديدة.شبكات علاقات مختلفة.مراكز قوة محلية جديدة.

وفي الوقت نفسه استمرت كثير من التقاليد الاجتماعية التي كانت سائدة خلال العصر الساساني.

الدين والمجتمع

خلال هذه المرحلة لم يحدث تحول ديني شامل وفوري.

فقد استمرت الجماعات الدينية المختلفة التي كانت موجودة في المنطقة قبل سقوط الدولة الساسانية.

وكانت عملية التحول الديني والثقافي عملية طويلة استغرقت قروناً عديدة، واختلفت من منطقة إلى أخرى.

كوردستان بين الاستقرار والمقاومة

رغم انتهاء الدولة الساسانية، لم تختفِ جميع مظاهر المعارضة أو التوتر.

ففي بعض المناطق الجبلية استمرت أشكال من المقاومة المحلية أو الاعتراض على السلطات الجديدة.

وكانت هذه التوترات جزءاً من عملية التحول التي رافقت انتقال المنطقة من نظام سياسي إلى نظام آخر.

دخلت كوردستان بعد سنة 651م مرحلة جديدة من تاريخها. فقد انتهى العصر الساساني وبدأ عصر مختلف سياسياً وإدارياً وثقافياً. ومع أن كثيراً من ملامح الماضي بقيت حاضرة، فإن البلاد كانت تتجه تدريجياً نحو واقع جديد سيؤثر في تاريخها لقرون طويلة. وخلال العقود التالية ستظهر تحديات وصراعات جديدة ستشكل أحد أهم فصول التاريخ الكوردي في العصور الإسلامية المبكرة.

الفصل الثاني

حملات فتح الجبال الكوردية
حلوان وشهرزور والدينور
651–680م

بعد انتهاء الدولة الساسانية لم تصبح جميع مناطق زاغروس وكوردستان خاضعة بصورة كاملة للسلطة الجديدة. فبينما دخلت بعض المدن ضمن النظام الإداري الإسلامي خلال فترة مبكرة، بقيت مناطق جبلية واسعة خارج السيطرة المباشرة لفترات متفاوتة.

وكانت طبيعة البلاد الجبلية، إضافة إلى قوة الزعامات المحلية، من أهم الأسباب التي جعلت عملية إخضاع المناطق الكوردية تختلف عن إخضاع السهول والمدن الكبرى.

الجبال بوصفها خط دفاع طبيعي

منذ العصور القديمة لعبت جبال كوردستان دوراً أساسياً في حماية سكانها.

فالممرات الضيقة والمرتفعات الوعرة كانت تمنح المدافعين ميزات مهمة، منها:صعوبة حركة الجيوش الكبيرة.سهولة مراقبة الطرق.

إمكانية تنفيذ الهجمات المفاجئة.توفير ملاجئ طبيعية للسكان والمقاتلين.

ولهذا السبب كانت السيطرة على الجبال أكثر تعقيداً من السيطرة على المدن المفتوحة.

حلوان

كانت حلوان من أهم المراكز الواقعة على الطريق بين العراق وزاغروس.

وبسبب موقعها الاستراتيجي أصبحت هدفاً رئيسياً في الحملات العسكرية والإدارية الرامية إلى تأمين الحدود الشرقية للدولة الإسلامية.

ومع استقرار السلطة في المدينة بدأت الطرق المؤدية إلى الداخل الجبلي تكتسب أهمية متزايدة.

شهرزور

مثلت شهرزور واحدة من أهم المناطق الكوردية خلال هذه المرحلة.

فهي تقع بين السهول والمرتفعات وتشكل نقطة اتصال بين أجزاء متعددة من كوردستان.

وقد شهدت المنطقة تحركات عسكرية متكررة ومحاولات لإخضاع المراكز المحلية وإدخالها ضمن النظام الإداري الجديد.

الدينور

كانت الدينور من المدن المهمة في زاغروس الغربية.

ومع انتقال مركز الصراع إلى المناطق الجبلية أصبحت المدينة نقطة اتصال بين السلطة المركزية والمناطق الواقعة في الداخل الجبلي.

كما لعبت دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية والإدارية خلال العقود اللاحقة.

الزعامات المحلية

في كثير من مناطق كوردستان لم تكن السلطة الفعلية بيد الحكومات المركزية وحدها.

بل كانت هناك:أسر محلية.رؤساء قبائل.أصحاب حصون.قادة عسكريون محليون.

وقد تفاوتت مواقف هذه القوى بين:التعاون مع السلطة الجديدة.الحفاظ على الحياد.المقاومة المسلحة في بعض الحالات.

التوترات والصدامات

لم تخلُ المرحلة من المواجهات العسكرية.

ففي بعض المناطق رفضت جماعات محلية التخلي عن استقلالها أو الامتثال الكامل للنظام الجديد.

وأدى ذلك إلى حملات عسكرية متكررة هدفت إلى:تأمين الطرق.فرض الاستقرار.منع التمردات.حماية المراكز الإدارية.

وكانت هذه الصدامات جزءاً من عملية إعادة تشكيل السلطة في البلاد.

أثر المرحلة على المجتمع الكوردي

ساهمت هذه التطورات في تغيير بنية المجتمع المحلي.

فقد بدأت تظهر علاقات جديدة بين:المدن والجبال.السلطة المركزية والزعامات المحلية.المناطق الزراعية والممرات التجارية.

كما بدأت تتشكل أنماط سياسية واجتماعية ستستمر آثارها لقرون لاحقة.

نهاية المرحلة الأولى

بحلول أواخر القرن السابع الميلادي كانت السلطة الإسلامية قد نجحت في تثبيت وجودها في أجزاء واسعة من المنطقة.

لكن السيطرة الكاملة على جميع المناطق الجبلية بقيت أمراً معقداً.

واستمرت كوردستان تحتفظ بدرجات متفاوتة من الخصوصية المحلية مقارنة ببعض المناطق الأخرى.

أظهرت العقود الأولى بعد سقوط الدولة الساسانية أن إخضاع الجبال الكوردية لم يكن عملية سريعة أو بسيطة. فقد لعبت الطبيعة الجغرافية والزعامات المحلية دوراً مهماً في رسم مسار الأحداث. وبين حلوان وشهرزور والدينور تشكلت ملامح مرحلة جديدة من تاريخ كوردستان، مرحلة اتسمت بالتكيف والمقاومة وإعادة بناء العلاقات السياسية في ظل النظام الجديد.

الكورد في العصر الأموي
(661–750) م.

الثورات والتمردات والسياسات المركزية

مع قيام الدولة الأموية سنة 661م انتقل مركز الحكم الإسلامي إلى دمشق، وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ المشرق. وخلال هذه المرحلة أصبحت كوردستان جزءاً من دولة واسعة امتدت من حدود الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً.

غير أن اتساع الدولة لم يلغِ الخصوصيات المحلية للأقاليم المختلفة، ومنها المناطق الكوردية التي احتفظت بطابعها الجبلي وتركيبتها الاجتماعية الخاصة.

ولهذا اتسمت العلاقة بين السلطة المركزية وبعض مناطق كوردستان بالتعاون أحياناً وبالتوتر أحياناً أخرى.

كوردستان في الدولة الأموية

كانت المناطق الكوردية موزعة بين عدد من الوحدات الإدارية التابعة للدولة الأموية.

وشملت هذه المناطق:شهرزور.حلوان.الدينور.أربيل.(هولير).المناطق الجبلية الواقعة بين العراق وأذربيجان.

وبسبب طبيعتها الجغرافية بقيت بعض المناطق أقل خضوعاً للرقابة المباشرة مقارنة بالمراكز الحضرية الكبرى.

الإدارة الأموية

سعت الدولة الأموية إلى:تأمين الطرق.تنظيم الجباية.تعيين الولاة.تثبيت الأمن.

لكن تنفيذ هذه السياسات في المناطق الجبلية كان أكثر صعوبة من تنفيذه في السهول والمدن الكبرى.

ولهذا اعتمدت السلطة في كثير من الأحيان على التفاهم مع الزعامات المحلية أو الاستفادة من نفوذها.

الثورات والاضطرابات

شهد العصر الأموي عدداً من الاضطرابات في مناطق مختلفة من الدولة.

ولم تكن كوردستان بعيدة عن هذه الأحداث.

فقد اندلعت في بعض الفترات حركات تمرد محلية أو مواجهات مرتبطة بالضرائب أو الصراعات السياسية أو النزاعات القبلية.

كما أن الطبيعة الجبلية للمنطقة ساعدت على استمرار بعض أشكال المقاومة المحلية.

المجتمع الكوردي في العصر الأموي

استمرت المجتمعات الكوردية في الاعتماد على:الزراعة.تربية المواشي.التجارة الإقليمية.حماية الطرق الجبلية.

كما بقيت الروابط العشائرية والمحلية عاملاً مهماً في تنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية.

وخلال هذه المرحلة بدأت تظهر ملامح نخب محلية ستلعب أدواراً أكبر في القرون التالية.

الطرق التجارية

احتفظت كوردستان بأهمية اقتصادية كبيرة.

فقد مرت عبرها طرق تربط:العراق.أذربيجان.أرمينيا.الهضبة الإيرانية.

ولهذا حرصت السلطة الأموية على حماية هذه الطرق وتأمينها.

وكان الاستقرار أو الاضطراب في المناطق الجبلية ينعكس مباشرة على حركة التجارة.

التحولات الدينية والثقافية

استمرت عملية التحول الديني في المنطقة بصورة تدريجية.

ولم تكن هذه العملية متشابهة في جميع المناطق.

فقد احتفظت بعض المجتمعات بعاداتها وتقاليدها القديمة لفترات طويلة، بينما شهدت مناطق أخرى تغيرات أسرع نتيجة قربها من المراكز الحضرية والإدارية.

نهاية العصر الأموي

مع اقتراب منتصف القرن الثامن الميلادي بدأت الدولة الأموية تواجه تحديات متزايدة.

ومن أبرز هذه التحديات:الصراعات السياسية الداخلية.الثورات الإقليمية.الحركات المعارضة.الصراع على الخلافة.

وكانت هذه التطورات تمهد لظهور قوة جديدة ستغير وجه العالم الإسلامي:

الدولة العباسية.

كوردستان عشية التحول العباسي

بحلول سنة 750م كانت كوردستان قد أمضت قرابة قرن تحت الحكم الإسلامي.

وخلال هذه الفترة تكيفت المنطقة مع الواقع الجديد، لكنها احتفظت أيضاً بخصوصياتها الجغرافية والاجتماعية.

ومع انتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين كانت البلاد تدخل مرحلة جديدة ستشهد تغيرات سياسية وثقافية عميقة.

مثّل العصر الأموي مرحلة انتقالية مهمة في تاريخ كوردستان. ففيه استقرت السلطة الإسلامية في أجزاء واسعة من المنطقة، وفيه أيضاً استمرت بعض مظاهر الخصوصية المحلية والمقاومة الجبلية. وبين دمشق وزاغروس تشكلت علاقات سياسية واجتماعية جديدة ستؤثر في مسار التاريخ الكوردي خلال القرون اللاحقة، خاصة مع ظهور الدولة العباسية التي ستفتح فصلاً جديداً من تاريخ المنطقة.

سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية
750م

الكورد والتحولات الكبرى في المشرق

في منتصف القرن الثامن الميلادي شهد العالم الإسلامي واحداً من أكبر التحولات السياسية في تاريخه. فبعد ما يقارب تسعين عاماً من الحكم الأموي، سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية التي نقلت مركز الثقل السياسي من دمشق إلى العراق.

ولم يكن هذا التغيير مجرد انتقال للسلطة من أسرة إلى أخرى، بل مثّل بداية عصر جديد انعكس على مختلف شعوب وأقاليم المشرق، ومنها كوردستان التي أصبحت أقرب جغرافياً إلى مركز القرار السياسي الجديد.

نهاية العصر الأموي

خلال العقود الأخيرة من الدولة الأموية تراكمت عوامل عديدة أضعفت النظام الحاكم.

ومن أبرزها:الصراعات الداخلية.التنافس بين الأجنحة السياسية.الثورات الإقليمية.التوترات الاجتماعية.اتساع رقعة الدولة وصعوبة إدارتها.وأدت هذه العوامل في النهاية إلى انهيار الدولة الأموية وظهور الدولة العباسية.

قيام الدولة العباسية

استطاع العباسيون الوصول إلى السلطة بعد حركة سياسية وعسكرية واسعة انطلقت من المشرق.

ومع انتصارهم سنة 750م بدأ عهد جديد في تاريخ المنطقة.

وكان من أهم ما ميز المرحلة الجديدة:ازدياد أهمية العراق.صعود مراكز حضارية جديدة.توسع النشاط الاقتصادي.تطور الإدارة المركزية.

موقع كوردستان في الدولة الجديدة

أصبحت كوردستان أكثر قرباً من مراكز الحكم الجديدة مقارنة بالعصر الأموي.

فالعراق الذي أصبح قلب الدولة العباسية كان متصلاً بصورة مباشرة بالمناطق الكوردية.

وأدى ذلك إلى:زيادة النشاط الإداري.نمو التجارة.تعزيز أهمية الطرق الجبلية.ارتفاع القيمة الاستراتيجية للمنطقة.

المدن الكوردية في العصر العباسي المبكر

شهدت مدن كوردستان تطورات ملحوظة خلال العقود الأولى من الحكم العباسي.

ومن أبرز المدن:أربيل .(هولير) شهرزور.الدينور.حلوان.

وقد أصبحت هذه المدن جزءاً من شبكة اقتصادية وسياسية واسعة تربط العراق بزاغروس وأذربيجان وأرمينيا.

المجتمع الكوردي

استمرت المجتمعات الكوردية في الحفاظ على خصائصها المحلية.

وكانت البنية الاجتماعية تعتمد على:العشائر.الزعامات المحلية.القرى الجبلية.المراكز الحضرية.

كما بدأت تظهر شخصيات وأسر محلية لعبت أدواراً متزايدة في إدارة شؤون المناطق المختلفة.

التوتر بين المركز والأطراف

رغم قوة الدولة العباسية في بداياتها، فإن السيطرة الكاملة على جميع المناطق الجبلية لم تكن أمراً سهلاً.

فقد استمرت بعض المناطق البعيدة في التمتع بقدر من الاستقلال الفعلي.

وأدى ذلك أحياناً إلى:نزاعات محلية.حملات عسكرية.صدامات بين السلطة المركزية والقوى الإقليمية.

بداية تشكل القوى المحلية

خلال العصر العباسي المبكر بدأت بعض الأسر والزعامات الإقليمية تعزز نفوذها.

ولم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على كوردستان وحدها، لكنها اتخذت في المناطق الجبلية أهمية خاصة بسبب الطبيعة الجغرافية للبلاد.

وكانت هذه التطورات تمهد لظهور الإمارات الكوردية التي ستبرز بصورة أوضح في القرون اللاحقة .التحولات الثقافية :

شهد العصر العباسي ازدهاراً علمياً وثقافياً كبيراً.

وانعكس ذلك على مختلف أقاليم الدولة.

فنشطت:حركة التجارة.التبادل الثقافي.التعليم.حركة الترجمة.

وأصبحت المدن القريبة من العراق جزءاً من هذا النشاط الحضاري الواسع.

مع قيام الدولة العباسية دخلت كوردستان مرحلة جديدة من تاريخها. فقد أصبحت أقرب إلى مركز القرار السياسي والاقتصادي في بغداد، وازدادت أهميتها الاستراتيجية والتجارية. وفي الوقت نفسه بدأت تظهر ملامح قوى محلية ستلعب دوراً متزايداً في تاريخ المنطقة. ومن هذا المناخ ستنشأ خلال القرون التالية حركات وتمردات وإمارات ستترك بصمتها العميقة على تاريخ الشعب الكوردي.

الكورد والثورات في العصر العباسي
القرنان الثامن والتاسع الميلاديان

وفيه سنبدأ بدراسة:التمردات الكوردية المبكرة.الحملات العسكرية العباسية في الجبال.العلاقة بين بغداد والزعامات الكوردية.

البدايات الأولى لتشكل الكيانات الكوردية الإقليمية.

الكورد والثورات في العصر العباسي
القرنان الثامن والتاسع الميلاديان

مع استقرار الدولة العباسية في بغداد وازدياد قوتها السياسية والعسكرية، سعت الخلافة إلى فرض سلطتها على مختلف الأقاليم الواقعة ضمن حدودها. غير أن المناطق الجبلية في كوردستان بقيت من أكثر المناطق صعوبة بالنسبة لأي سلطة مركزية بسبب طبيعتها الجغرافية وتعقيد بنيتها الاجتماعية.

ولهذا شهدت القرون الأولى من العصر العباسي سلسلة من التوترات والصدامات بين السلطة المركزية والزعامات المحلية في الجبال الكوردية.

الجبال ومفهوم الاستقلال المحلي

لم تكن المجتمعات الجبلية في كوردستان تشبه المدن الكبرى الخاضعة مباشرة لإدارة بغداد.

ففي كثير من المناطق كانت السلطة الفعلية موزعة بين:رؤساء العشائر.أصحاب الحصون.الأسر المحلية النافذة.القادة العسكريين الإقليميين.وأدى ذلك إلى بقاء مساحات واسعة من البلاد بعيدة عن السيطرة المباشرة للدولة.

أسباب التوتر

تعددت أسباب الصدامات بين السلطة العباسية وبعض المناطق الكوردية.

ومن أهمها:الضرائب والجباية.الرغبة في الحفاظ على الاستقلال المحلي.السيطرة على الطرق والممرات الجبلية.الصراعات بين الزعامات الإقليمية.التنافس على النفوذ.

ولم تكن جميع المواجهات ذات طابع واحد، بل اختلفت دوافعها من منطقة إلى أخرى.

الحملات العسكرية

خلال العصر العباسي أرسلت بغداد عدداً من الحملات العسكرية إلى المناطق الجبلية.

وكانت أهداف هذه الحملات تشمل:إعادة فرض سلطة الدولة.حماية طرق التجارة.إنهاء التمردات.إخضاع الحصون والقلاع المحلية.

لكن الطبيعة الجغرافية لكوردستان جعلت تحقيق هذه الأهداف أمراً معقداً في كثير من الأحيان.

الحصون الكوردية

لعبت الحصون المنتشرة في الجبال دوراً مهماً في هذه المرحلة.

فقد شكلت:مراكز دفاع.مقرات للزعامات المحلية.نقاط مراقبة للطرق.

وكانت السيطرة على هذه الحصون تمثل هدفاً رئيسياً للحملات العسكرية القادمة من بغداد.

أثر الصراعات على السكان

أدت المواجهات المتكررة إلى آثار مختلفة على السكان المحليين.

ومن بين هذه الآثار:اضطراب التجارة.نزوح بعض القرى.تراجع النشاط الزراعي في مناطق القتال.زيادة الأعباء الاقتصادية.

وكانت المجتمعات الجبلية غالباً أول من يتحمل نتائج الصراع بين السلطة المركزية والقوى المحلية.

بروز النخب الكوردية

رغم الصدامات، شهدت هذه المرحلة صعود عدد من الشخصيات والأسر المحلية التي اكتسبت نفوذاً متزايداً.

ومع مرور الزمن أصبحت هذه النخب أساساً لظهور الكيانات السياسية الكوردية التي ستبرز بصورة أوضح في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين.

بغداد وكوردستان

أدرك الخلفاء العباسيون أن إخضاع كوردستان بالقوة وحدها ليس أمراً سهلاً.

ولهذا لجأت الدولة أحياناً إلى:التفاهم مع الزعامات المحلية.منح الامتيازات.الاعتراف ببعض السلطات الإقليمية.إشراك شخصيات محلية في الإدارة.

وكان هذا النهج جزءاً من السياسة التي اتبعتها الخلافة تجاه عدد من المناطق البعيدة عن المركز.

نحو عصر الإمارات

مع نهاية القرن التاسع الميلادي بدأت سلطة الدولة العباسية تتراجع تدريجياً في بعض الأطراف.

وفي الوقت نفسه ازدادت قوة الأسر المحلية في عدد من مناطق كوردستان.

وكانت هذه التطورات تمهد لظهور مرحلة جديدة من التاريخ الكوردي، مرحلة الإمارات والسلالات الإقليمية.

شهد العصر العباسي المبكر سلسلة من التوترات والصدامات بين السلطة المركزية وبعض المناطق الكوردية. ولم تكن هذه الصراعات مجرد مواجهات عسكرية عابرة، بل كانت تعبيراً عن التنافس بين المركز والأطراف في منطقة تتميز بطبيعتها الجبلية وخصوصيتها الاجتماعية. ومن رحم هذه المرحلة ستظهر خلال القرون التالية قوى وإمارات كوردية ستصبح لاعباً رئيسياً في تاريخ المشرق.

بدايات الإمارات الكوردية
القرنان التاسع والعاشر الميلاديان

وفيه سنبدأ بدراسة:الحسنويون.الرواديون.الشداديون.المروانيون.الظروف التي سمحت بظهور الحكم الكوردي الإقليمي من جديد بعد قرون من سقوط الدولة الساسانية.

بدايات الإمارات الكوردية
القرنان التاسع والعاشر الميلاديان

مع مرور الزمن بدأت الخلافة العباسية تفقد جزءاً من قدرتها على إدارة الأطراف البعيدة بصورة مباشرة. وأدى اتساع الدولة وكثرة الصراعات الداخلية وظهور القوى الإقليمية إلى خلق واقع سياسي جديد في مختلف أنحاء المشرق.

وفي كوردستان ساهمت هذه التطورات في صعود أسر وزعامات محلية استطاعت أن تبني نفوذاً سياسياً وعسكرياً متزايداً، الأمر الذي مهد لظهور الإمارات الكوردية التي ستلعب دوراً مهماً في تاريخ المنطقة خلال القرون التالية.

تراجع السلطة المركزية

خلال القرن التاسع الميلادي بدأت مظاهر الضعف تظهر في بعض أطراف الدولة العباسية.

ومن أبرز هذه المظاهر:زيادة نفوذ القادة العسكريين.ظهور الدول الإقليمية.ضعف الرقابة المباشرة على الأطراف.تراجع قدرة بغداد على التدخل السريع في المناطق البعيدة.

وكانت كوردستان من المناطق التي تأثرت بهذه التحولات.

البيئة الجغرافية والسياسية

ساعدت الطبيعة الجبلية لكوردستان على ظهور مراكز قوة محلية.

فالجبال والحصون والوديان الواسعة منحت الزعامات الإقليمية فرصة أكبر لتعزيز نفوذها.

كما أن الموقع الجغرافي للمنطقة بين العراق وأرمينيا وأذربيجان والهضبة الإيرانية جعلها ذات أهمية استراتيجية كبيرة.

الرواديون

ظهر الروواديون في أذربيجان والمناطق المجاورة لها.

وتمكنوا من بناء نفوذ سياسي وعسكري مهم خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

وساهموا في ترسيخ وجود الأسر الكوردية ضمن المشهد السياسي للمنطقة.

الحسنويون

برز الحسنويون في المناطق الواقعة بين كرمنشاه والدينور وشهرزور.

وتمكنوا من توسيع نفوذهم خلال القرن العاشر الميلادي.

واعتمدوا على:القوة العسكرية.التحالفات المحلية.السيطرة على الطرق الحيوية.

وأصبحوا من أبرز القوى الكوردية في غرب زاغروس.

الشداديون

أسس الشداديون إمارة قوية في أرمينيا وأران وأجزاء من القوقاز.

وتمكنوا من لعب دور سياسي مهم في التوازنات الإقليمية.

كما ارتبط اسمهم بعدد من المدن والقلاع التي أصبحت مراكز نفوذ مهمة في المنطقة.

المروانيون

في شمال كوردستان والجزيرة العليا ظهرت الدولة المروانية التي أصبحت واحدة من أبرز الإمارات الكوردية في العصور الوسطى.

وامتد نفوذها إلى:ديار بكر(آمد).ميافارقين.مناطق واسعة من الجزيرة العليا.

وشهد عهدها ازدهاراً عمرانياً واقتصادياً ملحوظاً.

أهمية الإمارات الكوردية

مثلت هذه الإمارات تحولاً مهماً في تاريخ كوردستان.

فبعد قرون من هيمنة الإمبراطوريات الكبرى عادت قوى محلية كوردية إلى لعب دور سياسي مباشر في إدارة أجزاء واسعة من البلاد.

وأصبحت هذه الإمارات مراكز:للسلطة.والإدارة.والثقافة.والاقتصاد.

التحديات التي واجهتها

لم تكن الإمارات الكوردية تعمل في بيئة مستقرة.

فقد واجهت:تدخل القوى الإقليمية.الصراعات الداخلية.الحروب مع الجيران.التنافس بين الأسر الحاكمة.

ومع ذلك نجحت في ترك أثر عميق في تاريخ المنطقة.

الطريق نحو عصر جديد

مع نهاية القرن العاشر الميلادي أصبحت الإمارات الكوردية جزءاً أساسياً من المشهد السياسي في المشرق.

وكانت كوردستان تدخل مرحلة جديدة ستشهد صعود شخصيات وسلالات سيكون لها تأثير يتجاوز حدود المنطقة نفسها.

ومن بين هذه الشخصيات سيبرز لاحقاً اسم صلاح الدين الأيوبي، الذي سيصبح أحد أشهر القادة في تاريخ الشرق الأوسط.

مثلت الإمارات الكوردية عودة واضحة للدور السياسي المحلي في كوردستان بعد قرون من هيمنة القوى الإمبراطورية الكبرى. وقد ساهمت هذه الإمارات في الحفاظ على خصوصية المنطقة وتعزيز حضور النخب الكوردية في الحياة السياسية والعسكرية. ومن رحم هذه التجارب ستنشأ دول وسلالات جديدة ستلعب أدواراً محورية في تاريخ المشرق الإسلامي خلال القرون اللاحقة.

كوردستان بين السلاجقة والإمارات الكوردية
القرنان الحادي عشر والثاني عشر الميلاديان

مع بداية القرن الحادي عشر الميلادي دخل المشرق مرحلة جديدة من التحولات السياسية والعسكرية. فقد برز السلاجقة قوةً كبرى استطاعت خلال فترة قصيرة أن تفرض نفوذها على مساحات واسعة من العالم الإسلامي، وأن تصبح القوة العسكرية الرئيسية في المنطقة.

وكانت كوردستان، بحكم موقعها الجغرافي بين العراق والأناضول وأرمينيا وإيران، من أكثر المناطق تأثراً بهذه التحولات.

ظهور السلاجقة

ينتمي السلاجقة إلى القبائل التركية القادمة من آسيا الوسطى.

وخلال القرن الحادي عشر تمكنوا من:السيطرة على خراسان.دخول إيران.بسط النفوذ على العراق.التوسع نحو الأناضول.

وأصبحوا خلال فترة قصيرة القوة المهيمنة في المشرق الإسلامي.

كوردستان في ظل النفوذ السلجوقي

رغم توسع السلاجقة، لم تختفِ الإمارات الكوردية.

بل استمرت العديد من الأسر المحلية في إدارة مناطقها مقابل الاعتراف بالسلطة العليا للسلاجقة.

وأدى هذا النظام إلى نوع من التوازن بين:النفوذ الإمبراطوري.الحكم المحلي .
المدن الكوردية في القرن الحادي عشر

شهدت مدن كوردستان نمواً ملحوظاً خلال هذه الفترة.

ومن أهم المراكز:أربيل. (هولير) .ميافارقين.آمد.شهرزور.الموصل.

وأصبحت هذه المدن مراكز للتجارة والعلم والإدارة.

الصراعات الإقليمية

لم تكن المنطقة مستقرة تماماً.

فقد شهدت: نزاعات بين الإمارات المحلية.صراعات بين القوى الإقليمية.تنافساً على السيطرة على الطرق التجارية.حروباً مرتبطة بالتوازنات السياسية في المشرق.

وكانت كوردستان كثيراً ما تجد نفسها في قلب هذه الصراعات بسبب موقعها الاستراتيجي.

الحروب الصليبية

مع نهاية القرن الحادي عشر بدأت الحملات الصليبية على المشرق.

وأدى ذلك إلى تغير كبير في المشهد السياسي والعسكري.

فأصبحت المنطقة تشهد صراعاً واسعاً بين:القوى الإسلامية.الإمارات الصليبية.

وكان للكورد دور متزايد في هذه المواجهات خلال العقود التالية.

صعود الأسرة الأيوبية

في هذا المناخ السياسي والعسكري برزت الأسرة الأيوبية.

وكانت جذورها تنتمي إلى البيئة الكوردية في شمال المشرق.

ومع مرور الوقت استطاعت هذه الأسرة أن تتحول إلى واحدة من أهم القوى السياسية والعسكرية في المنطقة.

نجم الدين أيوب وأسرته

قبل ظهور صلاح الدين، لعب والده نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه أدواراً مهمة في الحياة السياسية والعسكرية.

وساهما في بناء النفوذ الذي ستقوم عليه الدولة الأيوبية لاحقاً.

ولادة مرحلة جديدة

بحلول منتصف القرن الثاني عشر الميلادي كانت الظروف قد أصبحت مهيأة لظهور قائد سيغير تاريخ المنطقة.

قائد سيجمع بين:الخبرة العسكرية.المهارة السياسية.القدرة على توحيد القوى المتفرقة.

وكان هذا القائد هو:

صلاح الدين الأيوبي.

نهاية مرحلة وبداية أخرى

أصبحت كوردستان خلال هذه الفترة جزءاً من عالم متغير بسرعة.

فالإمارات المحلية استمرت.

والقوى الكبرى تنافست على النفوذ.

والحروب الصليبية أعادت تشكيل التوازنات السياسية.

ومن قلب هذه التحولات سيظهر أحد أهم الفصول في التاريخ الكوردي والإسلامي على السواء.

شهد القرنان الحادي عشر والثاني عشر تفاعلاً معقداً بين النفوذ السلجوقي والإمارات الكوردية والقوى الإقليمية المختلفة. وقد وفرت هذه المرحلة البيئة التي مهدت لصعود الأسرة الأيوبية وظهور صلاح الدين، الذي سيصبح لاحقاً أحد أشهر القادة في تاريخ المشرق. ومعه سيدخل التاريخ الكوردي مرحلة جديدة من الحضور السياسي والعسكري على نطاق واسع.

صلاح الدين الأيوبي والعصر الذهبي للحضور السياسي الكوردي 1137–1193م

وفيه سأبحث نشأة صلاح الدين.صعوده السياسي.توحيد مصر والشام.معركة حطين.استعادة القدس.مكانة الكورد في الدولة الأيوبية.إرث الدولة الأيوبية في تاريخ كوردستان.

صلاح الدين الأيوبي والعصر الذهبي للحضور السياسي الكوردي 1137–1193م

إذا كانت الإمارات الكوردية قد نجحت خلال القرون السابقة في ترسيخ وجودها داخل أجزاء مختلفة من كوردستان والمشرق، فإن القرن الثاني عشر الميلادي شهد ظهور شخصية ستنقل الحضور السياسي الكوردي إلى مستوى غير مسبوق.

إنه صلاح الدين الأيوبي، القائد الذي ارتبط اسمه بتحرير القدس وتوحيد مصر والشام ومواجهة الحملات الصليبية، والذي أصبح أحد أشهر الشخصيات في التاريخ الإسلامي والعالمي.

النشأة

وُلد صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة 1137م تقريباً.

وكان ينتمي إلى الأسرة الأيوبية الكوردية التي استقرت في شمال المشرق.

وقد نشأ في بيئة عسكرية وسياسية ساعدته على اكتساب الخبرة منذ سن مبكرة.

وكان والده:نجم الدين أيوب من الشخصيات البارزة في عصره.

كما لعب عمه:أسد الدين شيركوه دوراً مهماً في تشكيل مسيرته السياسية والعسكرية.

الطريق إلى السلطة

بدأ صعود صلاح الدين في فترة اتسمت بالاضطراب السياسي والصراع بين القوى الإسلامية المختلفة.

وخلال سنوات قليلة تمكن من:تعزيز نفوذه في مصر.إعادة تنظيم الجيش.بناء قاعدة سياسية قوية.توحيد مراكز القوة المتفرقة.

وأصبح أحد أبرز القادة في المشرق الإسلامي.

توحيد مصر والشام

كان من أهم إنجازات صلاح الدين نجاحه في توحيد مصر والشام تحت سلطة واحدة.

وقد وفر هذا التوحيد:قاعدة اقتصادية قوية.موارد عسكرية كبيرة.قدرة على مواجهة الإمارات الصليبية.

وأصبح العالم الإسلامي يمتلك للمرة الأولى منذ عقود قيادة قادرة على خوض مواجهة واسعة مع القوى الصليبية.

معركة حطين

في سنة 1187م وقعت معركة حطين.

وتعد من أهم المعارك في تاريخ المشرق.

فقد تمكنت قوات صلاح الدين من تحقيق انتصار حاسم على الجيش الصليبي.

وأدت نتائج المعركة إلى:انهيار جزء كبير من القوة العسكرية الصليبية.استعادة عدد من المدن.فتح الطريق نحو القدس.

استعادة القدس

بعد حطين دخل صلاح الدين القدس سنة 1187م.

وأصبح هذا الحدث من أشهر الأحداث في التاريخ الإسلامي.

واكتسب القائد الأيوبي مكانة كبيرة في العالمين الإسلامي والمسيحي بسبب الطريقة التي تعامل بها مع المدينة وسكانها بعد استعادتها.

الدولة الأيوبية

لم يكن إنجاز صلاح الدين عسكرياً فقط.

بل أسس دولة واسعة امتدت عبر:مصر.الشام.أجزاء من الجزيرة.مناطق أخرى من المشرق.

وأصبحت الدولة الأيوبية إحدى أهم القوى السياسية في عصرها.

الكورد في الدولة الأيوبية

شهد العصر الأيوبي صعود عدد من الشخصيات والأسر الكوردية إلى مواقع مهمة في الجيش والإدارة.

كما ساهمت البيئة الكوردية التي خرجت منها الأسرة الأيوبية في تعزيز الروابط بين أجزاء مختلفة من كوردستان والمشرق.

وكان هذا العصر يمثل ذروة الحضور السياسي الكوردي خلال العصور الوسطى.

وفاة صلاح الدين

توفي صلاح الدين سنة 1193م بعد حياة حافلة بالأحداث.

لكن إرثه استمر لقرون طويلة.

وأصبح اسمه رمزاً:للقيادة.والوحدة.والقدرة على تجاوز الانقسامات.

إرث العصر الأيوبي

ترك العصر الأيوبي أثراً عميقاً في تاريخ المنطقة.

فقد أثبت أن القوى المنطلقة من البيئة الكوردية قادرة على لعب دور محوري في السياسة الإقليمية والدولية.

كما أصبح صلاح الدين إحدى أكثر الشخصيات حضوراً في الذاكرة التاريخية للشعوب المختلفة.

مثّل عهد صلاح الدين الأيوبي ذروة الحضور السياسي والعسكري الكوردي في العصور الوسطى. فقد انتقلت الأسرة الأيوبية من بيئة محلية إلى قيادة واحدة من أكبر دول المشرق، واستطاعت أن تترك بصمة لا تزال حاضرة في الذاكرة التاريخية حتى اليوم. غير أن هذا العصر الذهبي لم يدم طويلاً، إذ كانت المنطقة تقف على أعتاب موجة جديدة من الغزوات والصراعات ستجلب معها دماراً واسعاً وتفتح فصلاً جديداً من المعاناة في تاريخ كوردستان.

الغزو المغولي
بداية قرن من الدمار والخراب
القرنان الثالث عشر والرابع عشر

الغزو المغولي
بداية قرن من الدمار والخراب
القرنان الثالث عشر والرابع عشر الميلاديان

بعد أقل من نصف قرن على وفاة صلاح الدين الأيوبي، ظهر في قلب آسيا حدث سيغير تاريخ العالم بأسره. فقد خرجت الجيوش المغولية من سهوب آسيا الوسطى بقيادة جنكيز خان وخلفائه، لتبني واحدة من أكبر الإمبراطوريات في التاريخ.

وخلال عقود قليلة اجتاحت هذه الجيوش مساحات هائلة من الصين وآسيا الوسطى وإيران والعراق والأناضول، تاركة وراءها دماراً واسعاً وتحولات سياسية عميقة.

ولم تكن كوردستان بعيدة عن هذه العاصفة.

صعود المغول

في بدايات القرن الثالث عشر نجح جنكيز خان في توحيد القبائل المغولية.

ثم بدأت حملات التوسع الكبرى.

وسرعان ما سقطت:مدن آسيا الوسطى.ممالك خراسان.أجزاء واسعة من إيران.

وأصبحت الجيوش المغولية تقترب تدريجياً من المناطق المحيطة بكوردستان.

العالم الإسلامي عشية الغزو

كان المشرق الإسلامي يعيش حالة من الانقسام السياسي.

فبعد العصر الأيوبي ظهرت قوى وسلالات متعددة تتنافس على النفوذ.

وأدى هذا الانقسام إلى إضعاف القدرة على مواجهة الخطر القادم من الشرق.

اقتراب العاصفة من كوردستان

مع توسع النفوذ المغولي أصبحت كوردستان تقع على طرق الحملات العسكرية المتجهة نحو العراق والأناضول والشام.

وأصبحت المدن والقلاع الكوردية تواجه واقعاً جديداً لم تعرفه من قبل.

فالمغول لم يكونوا قوة إقليمية عادية، بل جيشاً يتحرك عبر القارات.

سقوط بغداد سنة 1258م

كان سقوط بغداد من أكثر الأحداث تأثيراً في تاريخ المنطقة.

ففي سنة 1258م دخلت قوات هولاكو المدينة.

وانتهى بذلك الحكم العباسي في بغداد.

كما تعرضت المدينة لدمار واسع وخسائر بشرية كبيرة.

وكان لهذا الحدث أثر عميق على جميع مناطق المشرق، بما فيها كوردستان.

كوردستان بين الحرب والنجاة

لم تتعرض جميع مناطق كوردستان للقدر نفسه من الدمار.

فبعض المناطق الجبلية استفادت من طبيعتها الوعرة.

بينما عانت مدن ومراكز أخرى من:الحملات العسكرية.تراجع التجارة.اضطراب الأمن.النزوح السكاني.

وأصبحت الجبال مرة أخرى ملاذاً لكثير من السكان الفارين من مناطق الصراع.

القلاع والمدن الكوردية

خلال هذه المرحلة لعبت القلاع الجبلية دوراً مهماً في حماية بعض المناطق.

لكن التفوق العسكري للمغول جعل الدفاع عن العديد من المراكز أمراً بالغ الصعوبة.

وتعرضت بعض المدن والحصون للتدمير أو الإضعاف خلال الحملات المتكررة.

التغيرات السكانية والاقتصادية

أدت الحروب الطويلة إلى:تراجع النشاط الزراعي.اضطراب طرق التجارة.انخفاض عدد السكان في بعض المناطق.انتقال جماعات سكانية من منطقة إلى أخرى.وكانت هذه التحولات من أكثر النتائج استمراراً بعد انتهاء العمليات العسكرية.

كوردستان في ظل الدولة الإيلخانية

بعد انتهاء مرحلة الفتوحات الأولى أصبحت كوردستان جزءاً من الدولة الإيلخانية المغولية.

ومع مرور الوقت بدأت الإدارة المغولية تتجه نحو الاستقرار النسبي.

وشهدت بعض المناطق تعافياً تدريجياً بعد سنوات الدمار الأولى.

لكن آثار الحرب بقيت واضحة لعقود طويلة.

إرث الغزو المغولي

لم يكن الغزو المغولي مجرد حملة عسكرية عابرة.

بل شكل نقطة تحول كبرى في تاريخ المشرق.

فقد:أنهى دولاً قديمة.غيّر موازين القوى.أعاد رسم خرائط النفوذ.وأدخل المنطقة في مرحلة جديدة من التاريخ.

وكانت كوردستان من المناطق التي عاشت هذه التحولات بصورة مباشرة.

مثّل الغزو المغولي إحدى أعنف الهزات التي تعرض لها المشرق خلال العصور الوسطى. وبينما نجت بعض المناطق الجبلية من الدمار الكامل، عانت أجزاء واسعة من المنطقة من آثار الحروب والاضطرابات الاقتصادية والسكانية. ومع أن كوردستان استطاعت البقاء والتكيف مع الواقع الجديد، فإن القرن الثالث عشر ترك جروحاً عميقة ستظل آثارها حاضرة لسنوات طويلة.

تيمورلنك وكوردستان
الموجة الثانية من الدمار
القرن الرابع عشر وأوائل الخامس عشر

وفيه:صعود تيمورلنك.حملاته في العراق وإيران والأناضول.أثرها على كوردستان.الدمار السكاني والعمراني.موجات النزوح والتهجير.نهاية العصر المغولي وبداية مرحلة جديدة من الصراعات.

تيمورلنك وكوردستان
الموجة الثانية من الدمار
1370–1405م

إذا كان الغزو المغولي قد هزّ أركان المشرق في القرن الثالث عشر، فإن نهاية القرن الرابع عشر شهدت ظهور قائد جديد أعاد إشعال الحروب على نطاق واسع.

ذلك القائد هو تيمورلنك، الذي نجح في بناء إمبراطورية عسكرية واسعة انطلقت من آسيا الوسطى وامتدت نحو إيران والعراق والقوقاز والأناضول والشام.

وخلال حملاته تعرضت مناطق واسعة من الشرق الأوسط لموجات جديدة من الدمار والقتل والنزوح.

وكانت كوردستان من المناطق التي وجدت نفسها مرة أخرى في قلب الصراع.

من هو تيمورلنك؟ولد تيمور في منطقة ما وراء النهر.

واستطاع خلال عقود قليلة أن يوحد مناطق واسعة تحت سلطته.

واعتمد في توسعاته على:القوة العسكرية.الحملات السريعة.سياسة الترهيب.إخضاع المدن بالقوة.

وسرعان ما أصبح أحد أقوى حكام عصره.

الطريق إلى زاغروس

مع توسع الدولة التيمورية أصبحت الطرق المؤدية إلى العراق وإيران تمر عبر أو بالقرب من مناطق كوردستان.

ولهذا دخلت المدن والجبال الكوردية ضمن المجال العسكري للحملات التيمورية.

وأصبحت المنطقة ساحة عبور وصراع بين القوى المتنافسة.

الحملات العسكرية

شهدت العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر سلسلة من الحملات التيمورية في:العراق.إيران.أذربيجان.القوقاز.الأناضول.

وكانت كوردستان تقع في قلب هذا المجال الجغرافي.

وقد أدى ذلك إلى تعرض العديد من المناطق لآثار الحرب المباشرة وغير المباشرة.

المدن الكوردية في زمن الحرب

تعرضت بعض المدن والبلدات إلى:الحصار.النهب.التخريب.فقدان الاستقرار.

كما تضررت طرق التجارة التي كانت تربط العراق بالأناضول والقوقاز.

وأدى ذلك إلى تراجع النشاط الاقتصادي في عدد من المناطق.

الجبال والملاذات الطبيعية

كما حدث خلال فترات سابقة، لعبت جبال كوردستان دوراً مهماً في حماية جزء من السكان.

فقد لجأت جماعات كثيرة إلى:المرتفعات.الوديان البعيدة.المناطق الوعرة.

هرباً من مسارات الجيوش والحملات العسكرية.

النزوح والتهجير

أدت الحروب المستمرة إلى تحركات سكانية واسعة.

فقد غادرت مجموعات من السكان مناطق القتال نحو مناطق أكثر أمناً.

وتسببت سنوات الحرب الطويلة في:تراجع الاستقرار.انخفاض الإنتاج الزراعي.اضطراب الأسواق.ضعف العمران في بعض المناطق.

كوردستان بين القوى المتصارعة

لم تكن المنطقة تواجه قوة واحدة فقط.

فخلال هذه المرحلة تنافست قوى عديدة على النفوذ.

وأصبحت كوردستان ساحة تتقاطع فيها مصالح:التيموريين.القوى المحلية.حكام العراق وإيران.الإمارات الإقليمية.

وكان السكان المحليون غالباً أول من يتحمل نتائج هذا الصراع.

نهاية عهد تيمورلنك

في سنة 1405م توفي تيمورلنك.

لكن آثار حملاته لم تنتهِ بوفاته.

فقد تركت الحروب وراءها:مدناً مدمرة.اقتصاداً منهكاً.تغيرات سكانية.فراغات سياسية في عدد من المناطق.

واستغرقت بعض الأقاليم سنوات طويلة للتعافي من نتائج تلك المرحلة.

إرث المرحلة التيمورية

تمثل فترة تيمورلنك واحدة من أكثر الفترات اضطراباً في تاريخ المشرق خلال العصور الوسطى.

وبالنسبة إلى كوردستان كانت تلك السنوات استمراراً لسلسلة طويلة من الحروب التي بدأت مع الغزو المغولي.

ورغم الخسائر الكبيرة، تمكنت المجتمعات المحلية من البقاء وإعادة بناء حياتها تدريجياً بعد انتهاء العاصفة.شكّلت حملات تيمورلنك موجة جديدة من الدمار في تاريخ كوردستان والمشرق. فبعد قرن من الغزو المغولي وجدت المنطقة نفسها أمام سلسلة أخرى من الحروب التي أثرت في السكان والمدن والاقتصاد. ومع نهاية العصر التيموري بدأت خريطة سياسية جديدة بالتشكل، وستكون كوردستان خلال القرنين التاليين مسرحاً لصراع من نوع آخر، هو الصراع بين الإمبراطوريتين العثمانية والصفوية.

كوردستان بين العثمانيين والصفويين
بداية قرون من الانقسام والصراع
1501–1639م

وفيه دراسة:ظهور الدولة الصفوية.ظهور الدولة العثمانية كقوة إقليمية كبرى.معركة جالديران.دور الإمارات الكوردية.انقسام كوردستان بين القوتين.بدايات التهجير والتدمير المرتبط بالحروب الحدودية.

كوردستان بين العثمانيين والصفويين
بداية قرون من الانقسام والصراع
1501–1639م

مع مطلع القرن السادس عشر دخلت كوردستان واحدة من أكثر المراحل تأثيراً في تاريخها. ففي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تتوسع من الأناضول نحو المشرق، كانت الدولة الصفوية تبني نفوذها في إيران وأذربيجان والمناطق المجاورة.

وسرعان ما تحولت كوردستان إلى منطقة تماس مباشرة بين الإمبراطوريتين.

ولم يكن هذا الصراع مؤقتاً أو عابراً، بل استمر لأكثر من قرن، وأدى إلى تغييرات سياسية وعسكرية وسكانية تركت آثارها على المنطقة حتى الأزمنة الحديثة.

ظهور الدولة الصفوية

في بداية القرن السادس عشر أسس الشاه إسماعيل الصفوي دولة قوية انطلقت من أذربيجان.

وخلال فترة قصيرة تمكن الصفويون من السيطرة على أجزاء واسعة من الهضبة الإيرانية.

وأصبحت الدولة الجديدة منافساً مباشراً للعثمانيين في الشرق الأوسط.

صعود الدولة العثمانية

في المقابل كانت الدولة العثمانية قد تحولت إلى إمبراطورية كبرى.

وامتدت أراضيها عبر:الأناضول.البلقان.أجزاء من المشرق.

وأصبحت المواجهة مع الصفويين أمراً شبه حتمي نتيجة تضارب المصالح والنفوذ.

كوردستان بين القوتين

وجدت كوردستان نفسها في موقع حساس للغاية.

فهي تقع بين مراكز النفوذ العثمانية والصفوية.

ولهذا أصبحت:ساحة للحملات العسكرية.ممراً للجيوش.منطقة تنافس سياسي مستمر.

وكانت الإمارات الكوردية مضطرة للتعامل مع هذا الواقع الجديد.

الإمارات الكوردية

حاولت العديد من الإمارات الكوردية الحفاظ على قدر من الاستقلال المحلي.

ومن أبرز هذه الإمارات:إمارة بدليس. إمارة سوران (في مراحل لاحقة).إمارات هكاري.إمارات بهدينان.إمارات أخرى في مختلف أنحاء كوردستان.

وقد اختلفت سياسات هذه الإمارات بين التحالف مع العثمانيين أو الصفويين أو محاولة الحفاظ على التوازن بين الطرفين.

معركة جالديران (1514م)

تعد معركة جالديران من أهم المعارك في تاريخ المنطقة.

ففي سنة 1514م واجه السلطان العثماني:

سليم الأول

الشاه الصفوي:

إسماعيل الصفوي

وانتهت المعركة بانتصار عثماني مهم.

وأدت نتائجها إلى تغير كبير في موازين القوى داخل كوردستان والمناطق المجاورة.

نتائج جالديران على كوردستان

بعد المعركة ازداد النفوذ العثماني في أجزاء واسعة من كوردستان.

كما دخل عدد من الأمراء الكورد في تفاهمات وتحالفات مع الدولة العثمانية.

لكن الصراع لم ينتهِ.

فقد استمرت الحروب العثمانية الصفوية لعقود طويلة بعد جالديران.

الحروب المتكررة

شهد القرنان السادس عشر وأوائل السابع عشر سلسلة من الحروب بين الإمبراطوريتين.

وخلال هذه الفترة تعرضت مناطق مختلفة من كوردستان إلى:حملات عسكرية.حصارات.تدمير قرى ومدن.اضطراب اقتصادي.موجات نزوح محلية.

وكان السكان المدنيون أكثر المتضررين من استمرار الحرب.

الانقسام التدريجي لكوردستان

مع استمرار الصراع بدأت تظهر خطوط نفوذ متغيرة بين الطرفين.

وأصبحت أجزاء من كوردستان تخضع للعثمانيين، بينما خضعت أجزاء أخرى للصفويين.

وكان هذا الانقسام يتغير مع كل حرب ومعاهدة جديدة.

لكنه مهّد لواحد من أهم التحولات في تاريخ المنطقة.

الطريق إلى معاهدة زهاب

بحلول النصف الأول من القرن السابع عشر كانت الحرب الطويلة قد أرهقت الجميع.

وأصبح من الواضح أن أياً من الطرفين لن يتمكن من القضاء نهائياً على الآخر.

ولهذا بدأت الظروف تتهيأ للوصول إلى تسوية سياسية ستحدد شكل الحدود الجديدة.

حوّلت المنافسة بين العثمانيين والصفويين كوردستان إلى ساحة صراع مفتوحة استمرت أكثر من قرن. وبين التحالفات والحروب والحصارات وجدت الإمارات الكوردية نفسها أمام تحديات غير مسبوقة. ومع اقتراب سنة 1639م كانت المنطقة على موعد مع حدث سيغير مصيرها لقرون طويلة، وهو توقيع معاهدة زهاب التي ستكرس الانقسام السياسي لكوردستان بين الإمبراطوريتين.

معاهدة زهاب (1639م)
تقسيم كوردستان بين الإمبراطوريتين

وفيه:خلفية المعاهدة.المفاوضات العثمانية الصفوية.الحدود الجديدة.أثر التقسيم على الإمارات الكوردية.الانعكاسات السكانية والسياسية طويلة الأمد.

بداية مرحلة جديدة من تاريخ الانقسام الكوردي.

معاهدة زهاب (1639م)
تقسيم كوردستان بين الإمبراطوريتين

بعد أكثر من قرن من الحروب المتواصلة بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وصلت الإمبراطوريتان إلى قناعة مفادها أن استمرار الحرب لن يؤدي إلى حسم نهائي لصالح أي منهما.

فقد استنزفت المواجهات الطويلة الموارد البشرية والاقتصادية للطرفين، وأدت إلى تدمير مناطق واسعة من الأراضي الحدودية.

وكانت كوردستان من أكثر المناطق تضرراً من هذا الصراع المستمر.

الطريق إلى زهاب

شهدت العقود السابقة لمعاهدة زهاب سلسلة طويلة من:الحملات العسكرية.الحصارات.التغييرات الحدودية.التحالفات المتقلبة.

وكانت السيطرة على كوردستان من أبرز أسباب النزاع بين الإمبراطوريتين.

ومع مرور الزمن أصبح البحث عن تسوية دائمة أمراً ضرورياً للطرفين.

توقيع المعاهدة

في سنة 1639م تم التوصل إلى اتفاق عُرف تاريخياً باسم:

معاهدة زهاب

وقد شكلت المعاهدة نقطة تحول مهمة في تاريخ المنطقة.

إذ وضعت إطاراً عاماً للحدود بين الدولتين بعد عقود طويلة من الحرب.

الحدود الجديدة

أدت المعاهدة إلى تثبيت مناطق النفوذ بين العثمانيين والصفويين.

وبذلك أصبحت أجزاء من كوردستان ضمن المجال العثماني.

في حين أصبحت أجزاء أخرى ضمن المجال الصفوي.

ولم يكن هذا التقسيم قائماً على أسس قومية أو اجتماعية، بل جاء نتيجة التوازنات العسكرية والسياسية بين الإمبراطوريتين.

أثر التقسيم على كوردستان

كان التأثير الأكبر للمعاهدة يتمثل في تقسيم المجال الكوردي بين قوتين متنافستين.

وأدى ذلك إلى:فصل مناطق كانت ترتبط تاريخياً ببعضها.اختلاف الأنظمة الإدارية.اختلاف السياسات الاقتصادية.اختلاف مراكز النفوذ السياسي.

وبدأت آثار هذا الانقسام تتراكم تدريجياً عبر الأجيال.

الإمارات الكوردية بعد زهاب

رغم توقيع المعاهدة استمرت الإمارات الكوردية في أداء دور مهم داخل المنطقتين العثمانية والصفوية.

لكن هامش الحركة السياسي بدأ يتأثر بالحدود الجديدة.

وأصبحت بعض الإمارات مضطرة للتعامل مع واقع سياسي مختلف عما كان سائداً قبل التقسيم.

التأثير الاقتصادي

أثرت الحدود الجديدة على طرق التجارة والتنقل.

فبعض الطرق التقليدية أصبحت تمر عبر مناطق نفوذ مختلفة.

كما تأثرت الأسواق والعلاقات الاقتصادية بين أجزاء متعددة من كوردستان.

ومع ذلك استمرت الروابط الاجتماعية والثقافية بين السكان على جانبي الحدود.

التأثير الاجتماعي

لم تؤدِّ المعاهدة إلى فصل السكان بصورة فورية.

فالعشائر والعائلات والقرى استمرت في الحفاظ على كثير من روابطها التقليدية.

لكن مع مرور الزمن بدأت الحدود السياسية تترك آثارها على أنماط الحياة والإدارة والانتماءات الإقليمية.

بداية مرحلة جديدة

مثلت زهاب نهاية مرحلة من الحروب المفتوحة وبداية مرحلة من التوازن السياسي النسبي.

لكن هذا الاستقرار لم يكن دائماً.

فخلال القرون التالية ستواجه كوردستان تحديات جديدة مرتبطة بتغير موازين القوى داخل الإمبراطوريتين نفسيهما.

الإرث التاريخي لمعاهدة زهاب

يعد كثير من الباحثين معاهدة زهاب من أكثر الاتفاقيات تأثيراً في تاريخ كوردستان.

لأن آثارها تجاوزت القرن السابع عشر واستمرت بدرجات مختلفة حتى الأزمنة الحديثة.

وأصبحت الحدود التي رسمتها المعاهدة أساساً لكثير من الترتيبات السياسية اللاحقة في المنطقة.

أنهت معاهدة زهاب مرحلة طويلة من الحرب بين العثمانيين والصفويين، لكنها فتحت في الوقت نفسه فصلاً جديداً من تاريخ كوردستان. فالتقسيم الذي فرضته التوازنات الإمبراطورية لم ينهِ الروابط التاريخية بين أجزاء البلاد، لكنه وضع أسس واقع سياسي جديد ستظهر نتائجه بصورة أوضح خلال القرون التالية، خاصة مع ضعف الإمبراطوريتين وصعود القوى المحلية من جديد.

الإمارات الكوردية بين الاستقلال والتبعية
القرنان السابع عشر والثامن عشر

وفيه :إمارة بدليس.إمارة بابان.إمارة بهدينان.إمارة سوران.إمارة هكاري.العلاقة مع العثمانيين والصفويين.الصراعات المحلية.محاولات الحفاظ على الحكم الكوردي الذاتي.الظروف التي سبقت سقوط الإمارات الكوردية في القرن التاسع عشر.

الإمارات الكوردية بين الاستقلال والتبعية
القرنان السابع عشر والثامن عشر

بعد معاهدة زهاب دخلت كوردستان مرحلة جديدة من تاريخها. فقد استقر الخط العام للحدود بين العثمانيين والصفويين، لكن الحياة السياسية داخل كوردستان لم تتوقف.

بل على العكس، شهدت هذه المرحلة ازدهار عدد من الإمارات الكوردية التي استطاعت أن تدير شؤونها الداخلية بدرجات متفاوتة من الاستقلال، مستفيدة من الطبيعة الجبلية للبلاد ومن حاجة الإمبراطوريتين إلى حلفاء محليين قادرين على حفظ الأمن وإدارة المناطق الحدودية.

طبيعة الحكم في الإمارات الكوردية

لم تكن الإمارات الكوردية دولاً مستقلة بالمعنى الحديث.

لكنها تمتعت في كثير من الأحيان بصلاحيات واسعة شملت:إدارة الشؤون المحلية.جمع الضرائب.تنظيم القوات العسكرية.إدارة القضاء المحلي.حماية الطرق التجارية.

وكان أمراؤها يحتفظون بعلاقات مع السلطة العثمانية أو الصفوية مع الحفاظ على نفوذهم الداخلي.

إمارة بدليس

كانت إمارة بدليس من أبرز الإمارات الكوردية خلال هذه المرحلة.

واكتسبت أهمية كبيرة بسبب:موقعها الاستراتيجي.قوتها السياسية.دورها الثقافي.

كما ارتبط اسمها بعدد من الشخصيات التاريخية المهمة، ومن أبرزها:

شرف خان البدليسي

الذي ألّف كتاب **شرفنامة،** أحد أهم المصادر في تاريخ الإمارات الكوردية.

إمارة بابان

برزت إمارة بابان في جنوب كوردستان.

وتمكنت من لعب دور سياسي وعسكري مهم خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

وأصبحت لاحقاً واحدة من أقوى الإمارات الكوردية في المنطقة.

كما ارتبط اسمها بازدهار مدينة السليمانية في مراحل لاحقة إمارة بهدينان

في شمال كوردستان الجنوبية ظهرت إمارة بهدينان التي اتخذت من العمادية مركزاً رئيسياً لها.

واستطاعت المحافظة على وجودها لفترات طويلة بفضل:الموقع الجبلي.التحالفات المحلية.الخبرة السياسية لأمرائها.

إمارة سوران

شهدت مناطق سوران تطوراً تدريجياً في النفوذ السياسي والعسكري.

ومع مرور الزمن أصبحت الإمارة إحدى القوى المؤثرة في كوردستان.

وستبلغ ذروة قوتها خلال القرن التاسع عشر.

إمارة هكاري

احتلت هكاري موقعاً استراتيجياً بين الأناضول وكوردستان وإيران.

وأصبحت إمارتها إحدى أهم القوى المحلية في المناطق الجبلية الشمالية.

وكانت المنطقة معروفة بوعورة تضاريسها وصعوبة إخضاعها من قبل القوى الخارجية.

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

رغم الحروب المتفرقة شهدت أجزاء واسعة من كوردستان استقراراً نسبياً خلال بعض فترات هذه المرحلة.

واعتمد الاقتصاد على:الزراعة.تربية المواشي.التجارة الإقليمية.الضرائب المفروضة على طرق القوافل.

كما ازدهرت بعض المدن والأسواق المحلية.

التحديات التي واجهت الإمارات

لم يكن الاستقرار دائماً.

فقد واجهت الإمارات الكوردية تحديات متعددة:

الصراعات بين الإمارات.التدخلات العثمانية.التدخلات الصفوية.النزاعات على الحدود والنفوذ.

وكانت هذه التحديات تضعف أحياناً قدرة الإمارات على العمل بصورة موحدة.

بداية التغيير الكبير

مع نهاية القرن الثامن عشر بدأت الدولة العثمانية تسعى إلى تعزيز سيطرتها المباشرة على الأقاليم المختلفة.

كما شهدت إيران تحولات سياسية جديدة.

وأصبح واضحاً أن عصر الإمارات شبه المستقلة يقترب من نهايته.

وكانت كوردستان على موعد مع واحدة من أكثر المراحل حساسية في تاريخها الحديث.

مثلت الإمارات الكوردية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر تجربة مهمة للحكم المحلي في كوردستان. فقد استطاعت الحفاظ على قدر من الاستقلال وإدارة شؤون البلاد في ظل التوازنات الإقليمية المعقدة. لكن التغيرات التي شهدها الشرق الأوسط مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ستقود إلى صدام مباشر بين هذه الإمارات والدول المركزية الصاعدة، وهو ما سيؤدي إلى سقوط معظم الكيانات الكوردية التقليدية.

سقوط الإمارات الكوردية
بداية العصر الحديث من الصراع والتهجير
1800–1880م

وفيه سندرس:حملة محمد علي باشا الرواندوزي (مير كور).سقوط إمارة سوران.سقوط بابان.سقوط بدليس.سقوط بهدينان.

حملة بدرخان بك.تدخل القوى الأوروبية.نهاية الحكم الكوردي التقليدي.بدايات التهجير وإعادة تشكيل السلطة في كوردستان.

سقوط الإمارات الكوردية
بداية العصر الحديث من الصراع والتهجير
1800–1880م

مع بداية القرن التاسع عشر دخلت كوردستان مرحلة جديدة ومختلفة عن كل ما سبقها من مراحل. فبعد قرون طويلة تمكنت خلالها الإمارات الكوردية من إدارة شؤونها بدرجات متفاوتة من الاستقلال، بدأت الدول المركزية المحيطة بكوردستان تتجه نحو فرض سيطرة مباشرة على الأقاليم التابعة لها.

وفي هذا السياق أصبحت الإمارات الكوردية هدفاً لسياسات مركزية جديدة هدفت إلى إنهاء الحكم المحلي وإخضاع جميع المناطق لسلطة الدولة.

وكانت نتائج هذه التحولات عميقة ومؤثرة في تاريخ الشعب الكوردي.

الدولة العثمانية والإصلاحات المركزية

شهدت الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر سلسلة من الإصلاحات الإدارية والعسكرية.

وكان من أهدافها:تعزيز سلطة الحكومة المركزية.تقليص نفوذ الإمارات المحلية.إعادة تنظيم الضرائب.توحيد الإدارة.

وأدت هذه السياسات إلى توتر متزايد مع الإمارات الكوردية التي اعتادت إدارة شؤونها بصورة شبه مستقلة.

إمارة سوران وصعود مير كور

برزت إمارة سوران في النصف الأول من القرن التاسع عشر بوصفها إحدى أقوى الإمارات الكوردية.

وقادها:

محمد باشا الرواندوزي

الذي سعى إلى توسيع نفوذ الإمارة وتعزيز قوتها العسكرية.

وتمكن خلال فترة من فرض نفوذه على مناطق واسعة.

لكن هذا التوسع أثار مخاوف القوى الإقليمية والدولة العثمانية.

سقوط إمارة سوران

أدت الضغوط العسكرية والسياسية المتزايدة إلى نهاية مشروع سوران التوسعي.

ومع تدخل الدولة العثمانية تراجعت قوة الإمارة تدريجياً.

وبسقوطها فقدت كوردستان إحدى أقوى الكيانات السياسية التي ظهرت في القرن التاسع عشر.

إمارة بابان

شهدت إمارة بابان أيضاً تراجعاً متزايداً أمام النفوذ العثماني.

ورغم محاولات أمرائها الحفاظ على موقعهم السياسي، فإن السياسات المركزية الجديدة حدّت من استقلال الإمارة.

وفي النهاية أصبحت سلطة الدولة العثمانية أكثر حضوراً في المناطق التي كانت تخضع لحكم بابان.

إمارة بدليس

كانت بدليس من أقدم الإمارات الكوردية وأكثرها شهرة.

لكنها واجهت المصير نفسه الذي واجهته الإمارات الأخرى.

فمع تقدم القرن التاسع عشر تراجعت قدرتها على الحفاظ على استقلالها التقليدي.

وأصبحت خاضعة بصورة أكبر للسلطة المركزية.

إمارة بهدينان

حافظت بهدينان على وجودها فترة طويلة.

إلا أن التحولات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة أدت في النهاية إلى إنهاء استقلالها الفعلي.

وبذلك اختفى أحد أهم الكيانات السياسية الكوردية في شمال كوردستان الجنوبية.

بدرخان بك

يعد:

بدرخان بك

من أبرز الشخصيات الكوردية في القرن التاسع عشر.

فقد حاول الحفاظ على قوة إمارة بوتان وتطوير مؤسساتها.

كما سعى إلى تعزيز الاستقرار والإدارة المحلية.

لكن الصدام مع الدولة العثمانية أصبح أمراً لا مفر منه.

نهاية إمارة بوتان

في أربعينيات القرن التاسع عشر أطلقت الدولة العثمانية حملة عسكرية واسعة ضد إمارة بوتان.

وانتهت المواجهة بسقوط الإمارة ونفي بدرخان بك.

وشكل هذا الحدث نقطة تحول مهمة في تاريخ كوردستان.

إذ فقدت البلاد واحدة من آخر الإمارات الكوردية القوية.

النتائج العامة لسقوط الإمارات

أدى انهيار الإمارات الكوردية إلى تغيرات واسعة:نهاية الحكم المحلي التقليدي.تعزيز الإدارة المركزية.إعادة تنظيم الضرائبتغير البنية السياسية للمنطقة.تراجع دور الأسر الأميرية الكوردية.

كما شهدت بعض المناطق موجات نزوح وتحولات اجتماعية نتيجة الحروب والصدامات.

بداية عصر جديد

بحلول أواخر القرن التاسع عشر كانت معظم الإمارات الكوردية التاريخية قد اختفت.

لكن اختفاء الإمارات لم يؤدِّ إلى اختفاء الهوية السياسية للكورد.

بل على العكس.

فقد بدأت تظهر أشكال جديدة من الوعي السياسي والحركات الإصلاحية والثقافية التي ستلعب دوراً مهماً في القرن العشرين.

شكّل سقوط الإمارات الكوردية نهاية حقبة استمرت قروناً طويلة من الحكم المحلي في كوردستان. ومع انتقال السلطة إلى الدول المركزية بدأت البلاد تدخل عصراً جديداً من التحديات السياسية والاجتماعية. ومن رحم هذه التحولات ستنشأ الحركات الكوردية الحديثة التي ستقود لاحقاً إلى الثورات والانتفاضات الكبرى في مواجهة الإمبراطوريات والدول الحديثة.

كوردستان بين الدولة العثمانية والدولة القاجارية
من الإصلاحات إلى الثورات
1880–1914م

وفيه سندرس:ثورة الشيخ عبيد الله النهري.السياسات العثمانية الجديدة.السياسات القاجارية.التغيرات السكانية.بدايات الحركة القومية الكوردية الحديثة.الجمعيات والصحف الكوردية الأولى.الطريق إلى الحرب العالمية الأولى.

كوردستان بين الدولة العثمانية والدولة القاجارية
من الإصلاحات إلى الثورات
1880–1914م

مع نهاية عصر الإمارات الكوردية دخلت كوردستان مرحلة جديدة اتسمت بسيطرة الدول المركزية بصورة مباشرة على معظم مناطق البلاد. وفي الوقت نفسه بدأت أفكار جديدة تنتشر في الشرق الأوسط، من بينها مفاهيم الإصلاح والدستور والهوية القومية والحقوق السياسية.

وخلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر بدأت ملامح الحركة الكوردية الحديثة بالظهور تدريجياً، في وقت كانت فيه كوردستان مقسمة بين الدولة العثمانية والدولة القاجارية.

أوضاع كوردستان بعد سقوط الإمارات

أدت نهاية الإمارات الكوردية إلى تغيرات واسعة في البنية السياسية للمنطقة.

فأصبحت الإدارة المركزية أكثر حضوراً من أي وقت مضى.

كما شهدت البلاد:إعادة تنظيم الولايات.زيادة النفوذ العسكري.توسيع سلطة الولاة.تقليص دور الأسر الأميرية التقليدية.

لكن هذه السياسات لم تؤدِّ إلى إنهاء التطلعات المحلية أو الرغبة في الحفاظ على الخصوصية الكوردية.

ثورة الشيخ عبيد الله النهري

تعد حركة:

الشيخ عبيد الله النهري

من أهم الأحداث في تاريخ كوردستان الحديث.

ففي سنة 1880 قاد حركة واسعة شملت مناطق مختلفة من كوردستان.

وطالب بدور سياسي أكبر للكورد في إدارة شؤونهم.

وقد اعتبر كثير من الباحثين هذه الحركة من أوائل التعبيرات السياسية الحديثة عن القضية الكوردية.

نتائج الحركة

انتهت حركة الشيخ عبيد الله بالفشل العسكري.

لكن آثارها السياسية كانت كبيرة.

إذ أظهرت للمرة الأولى إمكانية ظهور مشروع سياسي كوردي يتجاوز حدود إمارة أو منطقة واحدة.

كما أصبحت مرجعاً للحركات الكوردية اللاحقة.

الإصلاحات العثمانية

شهدت الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر إصلاحات واسعة عُرفت بالتنظيمات.

وكان هدفها:تحديث الإدارة.تعزيز المركزية.إصلاح الجيش.توحيد القوانين.

لكن تطبيق هذه السياسات في كوردستان أدى أحياناً إلى زيادة التوتر بين السكان المحليين والسلطات المركزية.

كوردستان في الدولة القاجارية

في الجانب الشرقي من كوردستان واجه الكورد أوضاعاً مشابهة داخل الدولة القاجارية.

فقد سعت الحكومة إلى تعزيز سيطرتها على المناطق الحدودية والجبلية.

وأدى ذلك إلى صدامات متكررة مع القوى المحلية.

التعليم والصحافة

شهدت العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر تطورات ثقافية مهمة.

فبدأت تظهر:المدارس الحديثة.الجمعيات الثقافية.النشاط الفكري.الكتابات السياسية.

وكان لهذه التطورات أثر مهم في تشكيل النخب الكوردية الحديثة.

الصحافة الكوردية

يُعد صدور صحيفة:

كوردستان

سنة 1898 حدثاً بارزاً في تاريخ الثقافة الكوردية.

فقد ساهمت في نشر الأفكار السياسية والثقافية بين المثقفين الكورد.

وأصبحت رمزاً لبداية مرحلة جديدة من العمل الفكري المنظم.

الطريق إلى الحرب العالمية الأولى

مع مطلع القرن العشرين بدأت الأوضاع الدولية تتجه نحو أزمة كبرى.

فالإمبراطوريات القديمة كانت تواجه تحديات متزايدة.

والقوى الأوروبية كانت تتنافس على النفوذ في الشرق الأوسط.

وأصبحت كوردستان، بحكم موقعها الجغرافي، جزءاً من هذه التوازنات المعقدة.

عشية العاصفة

بحلول سنة 1914 كانت كوردستان قد شهدت:نهاية الإمارات التقليدية.ظهور الحركات السياسية الحديثة.نمو النشاط الثقافي.ازدياد التدخلات الدولية.

لكن السنوات القادمة ستحمل أحداثاً أكبر بكثير مما عرفته المنطقة خلال العقود السابقة.

فالحرب العالمية الأولى كانت على وشك أن تبدأ.

مثلت العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر مرحلة انتقالية بين كوردستان التقليدية وكوردستان الحديثة. ففيها ظهرت الحركات السياسية الأولى، وبرزت الصحافة والنخب الفكرية، وبدأت القضية الكوردية تكتسب أبعاداً جديدة. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى ستدخل المنطقة مرحلة غير مسبوقة من التحولات والصراعات ستعيد رسم خريطة الشرق الأوسط بأكمله.

الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية
1914–1918م

وفيه سندرس:جبهات الحرب في كوردستان.أوضاع السكان الكورد خلال الحرب.المجاعات والنزوح.انهيار الدولة العثمانية.نهاية النظام الإمبراطوري القديم.بداية مشاريع تقسيم الشرق الأوسط.الآمال الكوردية بعد الحرب.

الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية
1914–1918م

في صيف سنة 1914 اندلعت الحرب العالمية الأولى، وهي الحرب التي ستغير وجه العالم بصورة جذرية. ولم تكن كوردستان بعيدة عن هذه الأحداث، بل تحولت أجزاء واسعة منها إلى ساحات قتال بين جيوش متحاربة وقوى متنافسة.

وخلال سنوات الحرب تعرض السكان المدنيون في مناطق عديدة إلى ظروف قاسية شملت المجاعة والنزوح والاضطراب الاقتصادي والانهيار الإداري.

وكانت نهاية الحرب إيذاناً بانتهاء عصر كامل وبداية عصر جديد في تاريخ الشرق الأوسط.

كوردستان على خطوط النار

بسبب موقعها الجغرافي أصبحت كوردستان جزءاً من عدة جبهات عسكرية.

ففي الشمال والشرق والجنوب تحركت الجيوش عبر:الجبال.الممرات الحدودية.المدن الاستراتيجية.الطرق التجارية.

وأدى ذلك إلى تحويل مناطق واسعة إلى ساحات عمليات عسكرية مستمرة.

أوضاع السكان المدنيين

كان المدنيون أكثر المتضررين من الحرب.

فقد واجهت مناطق كثيرة:نقص الغذاء.انتشار الأمراض.اضطراب الأسواق.

تراجع الإنتاج الزراعي.موجات النزوح.

وأصبحت الحياة اليومية أكثر صعوبة مع استمرار القتال سنة بعد أخرى.

النزوح والهجرة

أجبرت الحرب أعداداً كبيرة من السكان على مغادرة مناطقهم.

وكانت أسباب النزوح متعددة:

العمليات العسكرية.انعدام الأمن.تدهور الأوضاع الاقتصادية.الخوف من القتال.

وقد تركت هذه التحركات السكانية آثاراً طويلة الأمد على عدد من مناطق كوردستان.

نهاية الدولة العثمانية

مع استمرار الحرب بدأت الدولة العثمانية تواجه أزمات متزايدة.

وتعرضت جبهاتها العسكرية لضغوط كبيرة.

وبحلول سنة 1918 كانت الإمبراطورية قد فقدت قدرتها على مواصلة الحرب.

وانتهى الأمر بانهيار الدولة التي حكمت أجزاء واسعة من كوردستان لقرون عديدة.

سقوط النظام الإمبراطوري القديم

لم يكن سقوط الدولة العثمانية مجرد هزيمة عسكرية.

بل كان نهاية نظام سياسي كامل استمر لعدة قرون.

وأصبح مستقبل الشعوب والأقاليم التي كانت خاضعة للإمبراطورية موضع نقاش وصراع بين القوى الدولية المنتصرة.

الآمال الكوردية بعد الحرب

مع نهاية الحرب ظهرت لدى قطاعات من النخب الكوردية آمال جديدة.

فقد بدا أن مرحلة إعادة رسم خرائط الشرق الأوسط قد تفتح المجال أمام ترتيبات سياسية مختلفة.

وبدأت الوفود والشخصيات الكوردية تتابع التطورات الدولية باهتمام كبير.

القوى الكبرى ومشاريع التقسيم

خلال السنوات الأخيرة للحرب بدأت القوى الأوروبية تضع تصورات لمستقبل المنطقة.

وأصبحت الحدود الجديدة ومناطق النفوذ موضوعاً للمفاوضات السياسية والدبلوماسية.

وكانت كوردستان من المناطق التي تأثرت مباشرة بهذه المشاريع.

كوردستان بين الأمل والقلق

رغم الآمال التي ظهرت بعد الحرب، بقيت حالة من عدم اليقين تسيطر على المشهد.

فلم يكن واضحاً:كيف ستُرسم الحدود الجديدة.ما مصير الشعوب المختلفة.وما إذا كانت المطالب الكوردية ستلقى استجابة أم لا.

وكانت السنوات التالية حاسمة في تحديد الإجابة عن هذه الأسئلة.

الطريق إلى سيفر

مع انتهاء الحرب وبدء المؤتمرات الدولية دخلت القضية الكوردية مرحلة جديدة.

وأصبحت للمرة الأولى موضوعاً مطروحاً على طاولات المفاوضات الدولية.

وكانت الأنظار تتجه نحو الاتفاقيات والمعاهدات التي ستحدد شكل الشرق الأوسط الجديد.

أنهت الحرب العالمية الأولى عالماً قديماً وفتحت الباب أمام عالم جديد. وبين انهيار الدولة العثمانية وظهور مشاريع إعادة رسم الحدود، وجدت كوردستان نفسها أمام لحظة تاريخية مليئة بالآمال والتحديات. وكانت السنوات التالية ستحمل تطورات مصيرية ستؤثر في مستقبل الشعب الكوردي لعقود طويلة.

معاهدة سيفر
الحلم الكوردي على طاولة المجتمع الدولي
1919–1923م

وفيه :مؤتمر باريس للسلام.الوفود الكوردية.بنود معاهدة سيفر المتعلقة بكوردستان.فكرة الدولة الكوردية في الوثائق الدولية.ردود الفعل الإقليمية.صعود الحركة الكمالية.الطريق إلى إلغاء سيفر.

معاهدة سيفر
الحلم الكوردي على طاولة المجتمع الدولي
1919–1923م

مع انتهاء الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية، دخل الشرق الأوسط مرحلة إعادة تشكيل شاملة. فقد اجتمعت القوى المنتصرة لرسم حدود جديدة وتحديد مصير الشعوب والأقاليم التي كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية.

وفي هذه الأجواء ظهرت القضية الكوردية لأول مرة بصورة واضحة على الساحة الدولية، وأصبحت كوردستان موضوعاً للنقاش في المؤتمرات والاتفاقيات الدولية.

مؤتمر باريس للسلام

في سنة 1919 اجتمعت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى ضمن مؤتمر باريس للسلام.

وكان الهدف:تحديد مستقبل المناطق العثمانية السابقة.إعادة رسم الحدود.معالجة القضايا القومية التي برزت بعد الحرب.

وخلال هذه المرحلة حاول ممثلو عدد من الشعوب عرض مطالبهم أمام القوى الكبرى.

الوفود الكوردية

شارك ممثلون وشخصيات كوردية في الجهود السياسية الرامية إلى طرح القضية الكوردية أمام المجتمع الدولي.

وكان الهدف الأساسي:الاعتراف بالوجود القومي الكوردي.الحصول على حقوق سياسية.البحث في مستقبل كوردستان بعد انهيار الدولة العثمانية.

الطريق إلى سيفر

استمرت المفاوضات عدة أشهر.

وفي النهاية تم إعداد معاهدة جديدة لتنظيم العلاقة بين الحلفاء والدولة العثمانية المهزومة.

وأصبحت هذه المعاهدة واحدة من أكثر الوثائق إثارة للجدل في تاريخ المنطقة.

معاهدة سيفر(1920)

في سنة 1920 تم توقيع:

معاهدة سيفر

وتضمنت المعاهدة مواد تناولت مستقبل المناطق الكوردية في الأناضول.

وأصبحت هذه المواد لاحقاً محوراً رئيسياً في الذاكرة السياسية الكوردية.

المواد المتعلقة بكوردستان

تضمنت المعاهدة بنوداً فتحت الباب أمام ترتيبات سياسية خاصة بالمناطق الكوردية.

كما أشارت إلى آليات يمكن أن تؤدي، في ظروف معينة، إلى قيام كيان سياسي كوردي.

ولهذا اعتُبرت سيفر من قبل كثير من الكورد لحظة تاريخية استثنائية.

ردود الفعل

لم تحظَ المعاهدة بقبول جميع الأطراف.

فقد واجهت معارضة قوية داخل الأناضول.

كما ظهرت حركات سياسية وعسكرية رفضت نتائج الحرب وترتيبات ما بعدها.

وكان لهذه التطورات أثر مباشر على مستقبل سيفر نفسها.

صعود الحركة الكمالية

في هذه الفترة برز:

مصطفى كمال أتاتورك

بوصفه قائد الحركة الوطنية التركية.

وقاد حملة سياسية وعسكرية هدفت إلى رفض أجزاء من الترتيبات التي فرضتها الدول المنتصرة.

وسرعان ما تغير ميزان القوى على الأرض.

تقلص الآمال

مع نجاح الحركة الكمالية بدأت فرص تنفيذ بنود سيفر تتراجع تدريجياً.

وأصبحت التطورات العسكرية والسياسية الجديدة تفرض واقعاً مختلفاً عما كان متصوراً سنة 1920.

وبدأت القضية الكوردية تدخل مرحلة أكثر تعقيداً.

نهاية مرحلة وبداية أخرى

بحلول سنة 1923 أصبح واضحاً أن سيفر لن تُطبق بالشكل الذي تصورته القوى المنتصرة بعد الحرب.

وكانت المنطقة تتجه نحو اتفاقية جديدة ستعيد رسم الحدود والتوازنات السياسية مرة أخرى.

مثلت معاهدة سيفر لحظة نادرة ظهر فيها مستقبل كوردستان على طاولة المفاوضات الدولية. لكنها كانت أيضاً مثالاً على الفجوة بين النصوص الدبلوماسية والواقع السياسي والعسكري. وبين الأمل الذي ولد سنة 1920 والتغيرات التي تلت ذلك، كانت القضية الكوردية تتجه نحو منعطف جديد سيحمل آثاراً عميقة على القرن العشرين بأكمله.

معاهدة لوزان
تقسيم كوردستان الحديثة
1923م

وفيه سندرس:مؤتمر لوزان.إلغاء مفاعيل سيفر.الاعتراف بالجمهورية التركية.تقسيم كوردستان بين تركيا والعراق وسوريا وإيران.ردود الفعل الكوردية.بداية مرحلة الثورات الكبرى في القرن العشرين.

معاهدة لوزان
تقسيم كوردستان الحديثة
1923م

إذا كانت معاهدة سيفر قد فتحت باب الأمل أمام جزء من الحركة السياسية الكوردية، فإن معاهدة لوزان جاءت لتغلق ذلك الباب وتفتح مرحلة جديدة من تاريخ الشرق الأوسط.

ففي سنة 1923 اجتمعت القوى الدولية مرة أخرى لإعادة النظر في الترتيبات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى.

وكانت النتيجة اتفاقاً جديداً سيحدد شكل المنطقة لعقود طويلة، ويؤثر بصورة مباشرة في مستقبل كوردستان والشعب الكوردي .من سيفر إلى لوزان

بين سنتي 1920 و1923 تغيرت موازين القوى بصورة كبيرة.

فقد نجحت الحركة الوطنية التركية بقيادة مصطفى كمال في فرض واقع سياسي وعسكري جديد.

وأصبح من الصعب تطبيق البنود التي وردت في سيفر.

ولهذا بدأت القوى الدولية تتجه نحو تسوية مختلفة.

مؤتمر لوزان

انعقد مؤتمر لوزان في سويسرا بحضور ممثلي القوى الكبرى والدولة التركية الجديدة.

وكان الهدف:تحديد الحدود الجديدة.تنظيم العلاقات الدولية.إنهاء القضايا العالقة بعد الحرب.

وأصبحت القضية الكوردية جزءاً من هذه المناقشات بصورة غير مباشرة.

توقيع معاهدة لوزان

في سنة 1923 تم توقيع:

معاهدة لوزان

التي اعترفت بالجمهورية التركية الجديدة وحددت إطار العلاقات الدولية معها.

وأصبحت هذه المعاهدة المرجع القانوني والسياسي الأساسي للنظام الإقليمي الجديد.

غياب القضية الكوردية

على خلاف سيفر، لم تتضمن لوزان ترتيبات خاصة بمستقبل كوردستان.

وأدى ذلك إلى اختفاء البنود التي كانت قد أثارت الآمال لدى بعض النخب الكوردية بعد الحرب العالمية الأولى.

وكان لهذا التحول أثر عميق على المسار السياسي للقضية الكوردية.

كوردستان بعد لوزان

كرّست التطورات السياسية التي تلت لوزان واقعاً جديداً.

وأصبحت كوردستان موزعة بين عدة دول.

ومع مرور الزمن أصبحت الحدود الجديدة أكثر رسوخاً.

وكان لذلك تأثير مباشر على:الحياة السياسية.العلاقات الاجتماعية.الحركة الاقتصادية.التواصل بين أجزاء كوردستان المختلفة.

ولادة مرحلة جديدة من الصراع

لم يؤدِّ الواقع الجديد إلى إنهاء المطالب السياسية الكوردية.

بل أدى في كثير من الأحيان إلى ظهور حركات وثورات جديدة.

وأصبحت العقود التالية مسرحاً لسلسلة من الانتفاضات والصدامات التي ستشكل جزءاً أساسياً من تاريخ القرن العشرين.

ردود الفعل الكوردية

استقبلت قطاعات واسعة من النخب السياسية الكوردية نتائج لوزان بخيبة أمل.

فقد رأت أن التحولات الدولية تجاهلت تطلعاتها السياسية.

وأدى ذلك إلى تصاعد النشاط السياسي في عدد من المناطق الكوردية خلال السنوات اللاحقة.

أثر لوزان على القرن العشرين

يصعب فهم تاريخ كوردستان الحديث دون فهم الآثار التي ترتبت على لوزان.

فالعديد من الأحداث التي ستقع لاحقاً ترتبط بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالواقع السياسي الذي تكرس بعد سنة 1923.

ومن بين هذه الأحداث:الثورات الكوردية.الحركات السياسية.مشاريع الحكم الذاتي.الصراعات مع الدول المركزية.

بداية مرحلة الثورات الكبرى

مع استقرار الحدود الجديدة بدأت مرحلة مختلفة من تاريخ كوردستان.

فلم يعد الصراع يدور بين إمبراطوريات كبرى كما كان الحال في القرون السابقة.

بل أصبح يدور داخل إطار الدول الحديثة التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى.

وكانت أولى المحطات الكبرى في هذه المرحلة هي:

ثورة الشيخ سعيد سنة 1925.

مثلت معاهدة لوزان نقطة تحول مركزية في تاريخ كوردستان الحديث. فبينما أنهت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، أرست أيضاً الأسس السياسية التي

ستحدد شكل المنطقة طوال القرن العشرين. ومن هذه اللحظة بدأت كوردستان تدخل عصراً جديداً من الثورات والانتفاضات والصراعات السياسية التي ستصبح محور الأحداث في العقود التالية.

ثورة الشيخ سعيد
أول انتفاضة كوردية كبرى بعد لوزان
1925م

وفيه سندرس:

أوضاع الكورد بعد تأسيس الجمهورية التركية.الشيخ سعيد بيران.أسباب الثورة.العمليات العسكرية.قمع الثورة.الإعدامات.آثار الثورة على المجتمع الكوردي.بداية مرحلة جديدة من المواجهة بين الحركة الكوردية والدولة التركية الحديثة.

ثورة الشيخ سعيد
أول انتفاضة كوردية كبرى بعد لوزان
1925م

بعد سنتين فقط من توقيع معاهدة لوزان وتأسيس الجمهورية التركية، دخلت المناطق الكوردية في شمال كوردستان مرحلة من التوتر السياسي المتصاعد.

فقد شهدت الدولة الجديدة عملية إعادة بناء شاملة لمؤسساتها، رافقها توجه قوي نحو المركزية وتوحيد الإدارة والهوية السياسية داخل حدود الجمهورية.

وفي هذا المناخ ظهرت أول مواجهة كبرى بين الحركة الكوردية الحديثة والدولة التركية الجديدة.

كوردستان بعد تأسيس الجمهورية التركية

شهدت السنوات الأولى للجمهورية تغيرات واسعة.

ومن أبرزها:تعزيز السلطة المركزية.إعادة تنظيم الإدارة.تقليص نفوذ الزعامات التقليدية.فرض سياسات جديدة في المناطق المختلفة.

وأثارت هذه التغييرات ردود فعل متباينة داخل المجتمع الكوردي.

الشيخ سعيد بيران

برز:

الشيخ سعيد بيران

بوصفه إحدى الشخصيات الدينية والاجتماعية المؤثرة في المنطقة.

واستطاع خلال فترة قصيرة أن يجمع حوله عدداً من العشائر والقيادات المحلية.

وأصبح رمزاً للحركة التي بدأت تتشكل ضد السلطة المركزية.

أسباب الثورة

تعددت الأسباب التي أدت إلى اندلاع الثورة.

ومن أبرزها:التوتر السياسي.الخلافات حول إدارة المناطق الكوردية.التغيرات الاجتماعية والإدارية.الاعتراض على بعض سياسات الدولة الجديدة.

وقد اختلفت تفسيرات هذه الأسباب بين المؤرخين تبعاً لوجهات نظرهم ومصادرهم.

اندلاع الثورة

في أوائل سنة 1925 بدأت الانتفاضة المسلحة في عدد من المناطق.

وسرعان ما امتدت إلى مناطق أخرى.

وأصبحت المواجهة بين الثوار والقوات الحكومية واحدة من أكبر الأزمات التي واجهت الجمهورية التركية في سنواتها الأولى.

العمليات العسكرية

دفعت الحكومة التركية بقوات كبيرة إلى مناطق القتال.

وشهدت الأشهر التالية:معارك متعددة.حصار بعض المناطق.عمليات عسكرية واسعة.مواجهات عنيفة بين الطرفين.

وكان التفوق العسكري والتنظيمي في النهاية عاملاً حاسماً في مسار الأحداث.

نهاية الثورة

بحلول منتصف سنة 1925 كانت الثورة قد فقدت قدرتها على الاستمرار.

وتعرضت مناطق واسعة لعمليات عسكرية مكثفة.

وتمكنت القوات الحكومية من استعادة السيطرة على المناطق التي شهدت القتال.

المحاكم والإعدامات

بعد انتهاء الثورة جرت محاكمات واسعة لعدد من المشاركين فيها.

وكان من أبرز من أُعدم:

الشيخ سعيد بيران

وعدد من رفاقه.

وأصبحت هذه الأحداث من أكثر الوقائع حضوراً في الذاكرة السياسية الكوردية خلال القرن العشرين.

الآثار الاجتماعية والسياسية

تركت الثورة آثاراً عميقة على المجتمع الكوردي.

ومن أبرز هذه الآثار:تشديد الإجراءات الأمنية.تراجع النشاط السياسي العلني لفترة من الزمن.زيادة التوتر بين الدولة والحركة الكوردية.ظهور أجيال جديدة من الناشطين والسياسيين الكورد.

إرث الثورة

رغم فشلها العسكري، احتلت ثورة الشيخ سعيد مكانة مهمة في التاريخ الكوردي الحديث.

فقد أصبحت رمزاً لمرحلة جديدة من العمل السياسي والحراك الكوردي.

كما مهدت الطريق لانتفاضات وحركات أخرى ستظهر خلال العقود التالية.

مثلت ثورة الشيخ سعيد أول مواجهة كبرى بين الحركة الكوردية الحديثة والجمهورية التركية. ورغم انتهاء الثورة بالقوة العسكرية، فإن آثارها السياسية والاجتماعية استمرت لعقود طويلة. ومنذ سنة 1925 دخلت القضية الكوردية مرحلة جديدة اتسمت بتكرار الانتفاضات والصدامات في ظل واقع سياسي تشكل بعد لوزان.

الفصل العشرون

ثورة آرارات ومجازر زيلان
1926–1930م

وفيه :جمعية خويبون.ثورة آرارات.العمليات العسكرية التركية.أحداث وادي زيلان سنة 1930.الخسائر البشرية.

النزوح والتهجير.أثر الأحداث في الذاكرة الكوردية الحديثة.

الفصل العشرون

ثورة آرارات ومجازر زيلان
1926–1930م

لم تؤدِّ نهاية ثورة الشيخ سعيد سنة 1925 إلى إنهاء التوتر في المناطق الكوردية. فخلال السنوات التالية استمرت حالة الاحتقان السياسي، وظهرت حركات جديدة سعت إلى مواصلة النضال الكوردي بوسائل مختلفة.

وفي هذا السياق برزت ثورة آرارات بوصفها واحدة من أهم الانتفاضات الكوردية في النصف الأول من القرن العشرين، كما شهدت الفترة نفسها أحداث وادي زيلان التي تركت أثراً عميقاً في الذاكرة الجماعية للكورد.

ما بعد ثورة الشيخ سعيد

بعد سنة 1925 شهدت المناطق الكوردية:تشديد الإجراءات الأمنية.زيادة الوجود العسكري.تراجع النشاط السياسي العلني.انتقال بعض النشطاء إلى الخارج.لكن هذه التطورات لم تؤدِّ إلى اختفاء الحركة الكوردية.

بل ساهمت في ظهور أشكال جديدة من التنظيم السياسي.

جمعية خويبون

في أواخر عشرينيات القرن العشرين تأسست:

خويبون

التي لعبت دوراً مهماً في تنظيم النشاط السياسي الكوردي.

وسعت الجمعية إلى:توحيد الجهود السياسية.دعم الحركات الكوردية.إيصال القضية الكوردية إلى الرأي العام الدولي.

ثورة آرارات

ارتبطت الثورة بمنطقة:

جبل آرارات

التي أصبحت مركزاً لنشاط المقاتلين الكورد خلال أواخر عشرينيات القرن العشرين.

واستفادت الحركة من الطبيعة الجبلية للمنطقة وصعوبة السيطرة عليها.

تطور المواجهة

شهدت السنوات بين 1927 و1930 سلسلة من العمليات العسكرية المتبادلة.

وحاول المقاتلون الكورد الحفاظ على مواقعهم في المناطق الجبلية.

في المقابل دفعت الدولة التركية بقوات كبيرة لإنهاء التمرد.

الحملة العسكرية

مع تصاعد المواجهة أطلقت السلطات حملة عسكرية واسعة.

وشملت العمليات:تحركات برية.استخدام المدفعية.حصار المناطق الجبلية.ملاحقة المقاتلين.

ومع مرور الوقت أصبحت موازين القوى تميل بصورة متزايدة لصالح الدولة.

نهاية ثورة آرارات

بحلول سنة 1930 تراجعت قدرة الثورة على مواصلة القتال.

وانتهت المواجهة بسيطرة القوات الحكومية على المناطق الرئيسية التي شهدت التمرد.

وبذلك انتهت واحدة من أبرز الانتفاضات الكوردية في تلك المرحلة.

أحداث وادي زيلان

في سنة 1930 شهدت منطقة:

وادي زيلان

أحداثاً دامية ارتبطت بالحملة العسكرية الجارية آنذاك.

وتذكر مصادر مختلفة وقوع خسائر بشرية كبيرة بين السكان المحليين خلال العمليات.

وتختلف التقديرات حول عدد الضحايا، لكن الحدث بقي حاضراً بقوة في الذاكرة الكوردية وفي عدد من الدراسات التاريخية الحديثة.

النزوح والتهجير

أدت العمليات العسكرية إلى:نزوح عدد من السكان.تدمير قرى ومساكن في بعض المناطق.اضطراب الحياة الاقتصادية.تفكك بعض الشبكات الاجتماعية المحلية.

وكانت آثار هذه التطورات تمتد لسنوات بعد انتهاء القتال.

الأثر السياسي

شكّلت أحداث آرارات وزيلان محطة مهمة في تطور القضية الكوردية.

فقد أظهرت استمرار المطالب السياسية الكوردية رغم قمع الثورات السابقة.

كما رسخت لدى كثير من الكورد شعوراً بأن الصراع دخل مرحلة جديدة أكثر تعقيداً.

إرث المرحلة

أصبحت ثورة آرارات وأحداث زيلان جزءاً من الذاكرة التاريخية الكوردية الحديثة.

وتكررت الإشارة إليهما في:الأدبيات السياسية.المذكرات.الدراسات التاريخية.الروايات الشفوية.

بوصفهما من أبرز أحداث مرحلة ما بين الحربين العالميتين.

مثلت ثورة آرارات محاولة جديدة للحركة الكوردية بعد ثورة الشيخ سعيد، بينما تركت أحداث زيلان جروحاً عميقة في المجتمع الكوردي. ومع انتهاء هذه

المرحلة لم ينتهِ الصراع، بل انتقل إلى فصل جديد أكثر قسوة سيظهر في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين في منطقة ديرسم، حيث ستقع واحدة من أكثر الأحداث إثارة للجدل في تاريخ كوردستان الحديث.

ديرسم
النار في جبال كوردستان
1938–1937م

وفيه سندرس:أوضاع ديرسم قبل الحملة.السياسات الحكومية.العمليات العسكرية.الخسائر البشرية.التهجير.التغيرات الديمغرافية.أثر ديرسم في الذاكرة الكوردية.

ديرسم
النار في جبال كوردستان
1938–1937م

في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين شهدت منطقة ديرسم واحدة من أكثر الأحداث إثارة للجدل في تاريخ كوردستان الحديث. فقد تحولت المنطقة الجبلية الواقعة في شرقي الأناضول إلى مسرح لعمليات عسكرية واسعة انتهت بخسائر بشرية كبيرة وبتغيرات عميقة في البنية السكانية والاجتماعية للمنطقة.

ولا تزال أحداث ديرسم حتى اليوم موضوعاً للنقاش التاريخي والسياسي داخل تركيا وخارجها.

ديرسم قبل الحملة

كانت ديرسم تتميز بعدد من الخصائص:الطبيعة الجبلية الوعرة.قوة البنية العشائرية.البعد النسبي عن المراكز الإدارية الكبرى.خصوصية اجتماعية وثقافية محلية.

ولهذا ظلت المنطقة مختلفة عن كثير من المناطق الأخرى من حيث أسلوب الإدارة والعلاقة مع السلطة المركزية.

السياسات الحكومية

خلال ثلاثينيات القرن العشرين سعت الحكومة التركية إلى تعزيز سيطرتها على المناطق الجبلية البعيدة.

وشملت هذه السياسات:توسيع الإدارة المركزية.زيادة الوجود العسكري.تطوير البنية الإدارية.فرض رقابة أكبر على المناطق الطرفية.

وأدى ذلك إلى تصاعد التوتر في ديرسم.

بداية الأزمة

تراكمت الخلافات بين السلطات وبعض القوى المحلية خلال السنوات السابقة للحملة.

ومع ازدياد التوتر بدأت المواجهة تتجه نحو الحل العسكري.

وأصبحت المنطقة محور اهتمام متزايد من قبل الحكومة.

العمليات العسكرية

في سنتي 1937 و1938 نُفذت عمليات عسكرية واسعة في ديرسم.

وشملت:تحركات برية.عمليات تمشيط.حصار مناطق جبلية.استخدام مكثف للقوات الحكومية.

وكان الهدف المعلن هو إنهاء التمرد وإعادة فرض سلطة الدولة بصورة كاملة.

الخسائر البشرية

تختلف التقديرات المتعلقة بعدد الضحايا بين المصادر المختلفة.

لكن المؤكد أن الأحداث أدت إلى سقوط أعداد كبيرة من القتلى والجرحى.

ولهذا تعد ديرسم من أكثر الأحداث دموية في تاريخ الجمهورية التركية المبكر.

التهجير والنقل السكاني

إلى جانب العمليات العسكرية شهدت المرحلة:

تهجير مجموعات من السكان.إعادة توطين بعض العائلات في مناطق أخرى.تفكك عدد من البنى الاجتماعية التقليدية.

وكان لهذه السياسات أثر طويل الأمد على المجتمع المحلي.

الأثر الاجتماعي

أدت أحداث ديرسم إلى تغيرات عميقة في المنطقة.

ومن أبرز هذه التغيرات:تراجع بعض البنى العشائرية.تغير أنماط الاستقرار السكاني.آثار نفسية واجتماعية استمرت لأجيال.

كما أصبحت ديرسم رمزاً حاضراً في الذاكرة الجماعية للكثير من الكورد.

الجدل التاريخي

لا تزال أحداث ديرسم موضع نقاش واسع.

فقد قدمت الحكومات والمؤرخون والباحثون تفسيرات مختلفة لما جرى.

وتتراوح هذه التفسيرات بين اعتبارها:حملة أمنية ضد تمرد.أو كارثة إنسانية واسعة النطاق.أو حدثاً يجمع بين البعدين العسكري والإنساني.

إرث ديرسم

أصبحت ديرسم إحدى المحطات الرئيسية في التاريخ الكوردي الحديث.

وتكررت الإشارة إليها في:الدراسات التاريخية.الأدبيات السياسية.المذكرات الشخصية.الشهادات الشفوية.

بوصفها حدثاً ترك أثراً عميقاً في الوعي الكوردي المعاصر.

شكّلت أحداث ديرسم منعطفاً مهماً في العلاقة بين الدولة التركية والمناطق الكوردية خلال القرن العشرين. وبين العمليات العسكرية والتهجير والخسائر البشرية نشأت ذاكرة تاريخية لا تزال حاضرة حتى اليوم. ومع نهاية الثلاثينيات كانت كوردستان تدخل مرحلة جديدة ستتأثر مباشرة بالتحولات العالمية الكبرى التي ستجلبها الحرب العالمية الثانية.

الحرب العالمية الثانية
وكوردستان بين القوى الكبرى
1939–1945م

وفيه سندرس:تأثير الحرب العالمية الثانية على كوردستان.الاحتلال السوفيتي والبريطاني لإيران.

التحولات السياسية في شرق كوردستان.النشاط السياسي الكوردي.الظروف التي مهدت لقيام جمهورية مهاباد.

الفصل الثالث والعشرون: جمهورية مهاباد (1946م).قاضي محمد.تأسيس الجمهورية.دور الملا مصطفى البارزاني.السقوط.الإعدامات.الأثر التاريخي طويل المدى.

الحرب العالمية الثانية
وكوردستان بين القوى الكبرى
1939–1945م

مع اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة 1939 دخل العالم مرحلة جديدة من الصراع الدولي. ورغم أن كوردستان لم تكن ساحة رئيسية للحرب مثل أوروبا أو شمال أفريقيا، فإن موقعها الجغرافي بين تركيا والعراق وإيران والاتحاد السوفيتي جعلها تتأثر بصورة مباشرة بالتطورات السياسية والعسكرية التي رافقت الحرب.

وخلال هذه السنوات تغيرت موازين القوى في المنطقة، وظهرت ظروف جديدة ستؤدي لاحقاً إلى واحدة من أهم المحطات في التاريخ الكوردي الحديث: جمهورية مهاباد.

الشرق الأوسط في زمن الحرب

أصبحت منطقة الشرق الأوسط ذات أهمية استراتيجية كبرى بالنسبة للقوى المتحاربة.

وكانت أسباب ذلك:النفط.طرق الإمداد العسكرية.الموقع الجغرافي.خطوط المواصلات بين أوروبا وآسيا.

ولهذا ازداد اهتمام القوى الكبرى بالمنطقة بصورة غير مسبوقة.

إيران والحرب العالمية الثانية

رغم إعلان إيران الحياد في بداية الحرب، فإن موقعها الاستراتيجي جعلها محوراً مهماً في الحسابات الدولية.

وفي سنة 1941 دخلت القوات البريطانية والسوفيتية إيران.

وأدى ذلك إلى تغيرات سياسية كبيرة داخل البلاد.

كوردستان الشرقية في ظل الاحتلال

أصبحت أجزاء من شرق كوردستان ضمن المجال الذي شهد نفوذاً سوفيتياً متزايداً خلال سنوات الحرب.

وأتاح هذا الواقع مساحة أوسع للنشاط السياسي والثقافي مقارنة ببعض المراحل السابقة.

كما بدأت تظهر تنظيمات وشخصيات سياسية جديدة.

النشاط الثقافي والسياسي

شهدت سنوات الحرب نمواً ملحوظاً في النشاط السياسي الكوردي.

فقد بدأت مجموعات من المثقفين والناشطين بالعمل على:نشر الوعي القومي.تطوير التعليم.تأسيس منظمات سياسية.تعزيز العمل الثقافي.

وكانت هذه التطورات تمهد لمرحلة أكثر تنظيماً في العمل السياسي الكوردي.

التحولات الاجتماعية

أدت الحرب إلى تغيرات متعددة داخل المجتمع الكوردي.

ومن أبرزها:زيادة النشاط المدني.نمو دور النخب المتعلمة.اتساع النقاشات السياسية.ظهور قيادات جديدة.

وأصبحت المدن الكوردية مراكز مهمة للحراك الفكري والسياسي.

العراق وكوردستان الجنوبية.في كوردستان الجنوبية استمرت العلاقة المعقدة بين الحركة الكوردية والدولة العراقية.

ورغم أن الحرب لم تشهد مواجهة شاملة في المنطقة، فإن التطورات الدولية أثرت في التوازنات السياسية الداخلية.

وكانت القيادات الكوردية تتابع التحولات الإقليمية باهتمام كبير.

تركيا وكوردستان الشمالية

حافظت تركيا على موقف حذر خلال معظم سنوات الحرب.

لكن المناطق الكوردية بقيت خاضعة للسياسات التي تشكلت بعد أحداث ديرسم.

ولهذا استمرت حالة التوتر السياسي في خلفية المشهد العام.

اقتراب لحظة التغيير

مع اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت الأوضاع الدولية تتغير بسرعة.

فقد ضعف النفوذ التقليدي لبعض القوى، وظهرت فرص جديدة أمام الحركات السياسية المحلية.

وفي شرق كوردستان بدأت تتشكل الظروف التي ستسمح بقيام تجربة سياسية غير مسبوقة.

الطريق إلى مهاباد

بحلول سنة 1945 كانت مجموعة من العوامل قد اجتمعت معاً:الفراغ السياسي النسبي.النشاط القومي الكوردي.الظروف الدولية الجديدة.وجود قيادات سياسية منظمة.

وأصبحت مدينة مهاباد على موعد مع حدث سيترك أثراً عميقاً في التاريخ الكوردي الحديث.

رغم أن الحرب العالمية الثانية لم تجرِ بالكامل على أرض كوردستان، فإن نتائجها السياسية كانت عميقة. فقد أدت التحولات الدولية إلى فتح مساحة جديدة للعمل السياسي الكوردي، ووفرت الظروف التي سمحت بقيام أول جمهورية كوردية حديثة في القرن العشرين. ومن هنا تبدأ واحدة من أكثر التجارب تأثيراً في الذاكرة الوطنية الكوردية: جمهورية مهاباد.

جمهورية مهاباد
الحلم الكوردي القصير
1946م

وفيه:الظروف التي أدت إلى تأسيس الجمهورية.قاضي محمد.إعلان جمهورية مهاباد.دور الملا مصطفى البارزاني.المؤسسات والإدارة.الموقف الدولي.سقوط الجمهورية.إعدام قاضي محمد.الأثر التاريخي والسياسي لمهاباد.

جمهورية مهاباد
الحلم الكوردي القصير
1946م

تُعد جمهورية مهاباد واحدة من أهم المحطات في التاريخ الكوردي الحديث. فعلى الرغم من أنها لم تعش سوى أشهر قليلة، فإن تأثيرها السياسي والثقافي تجاوز عمرها الزمني بكثير.

وللمرة الأولى في القرن العشرين شهدت كوردستان قيام كيان سياسي كوردي أعلن نفسه بصورة رسمية، وأنشأ مؤسسات وإدارة وعَلَماً ونشاطاً ثقافياً وسياسياً منظماً.

ولهذا بقي اسم مهاباد حاضراً بقوة في الذاكرة الوطنية الكوردية حتى اليوم.

الظروف التي سبقت الجمهورية

جاءت جمهورية مهاباد نتيجة تفاعل عدة عوامل:نهاية الحرب العالمية الثانية.ضعف السلطة المركزية الإيرانية في بعض المناطق.الوجود السوفيتي في شمال إيران.نمو الحركة القومية الكوردية.ظهور قيادات سياسية منظمة.

وقد ساهمت هذه الظروف مجتمعة في خلق فرصة تاريخية نادرة.

قاضي محمد برز:قاضي محمد بوصفه الشخصية السياسية الأهم في المشروع الجديد.

وكان يتمتع بمكانة اجتماعية وسياسية بارزة داخل مهاباد والمناطق المجاورة.

وأصبح رمزاً لمرحلة كاملة من النضال السياسي الكوردي.

إعلان الجمهورية

في 22 كانون الثاني/يناير 1946 أُعلن قيام:

جمهورية مهاباد

في مدينة:مهاباد

وشكل هذا الإعلان حدثاً غير مسبوق في التاريخ الكوردي الحديث.

إذ انتقلت الحركة القومية الكوردية من مرحلة المطالب السياسية إلى تجربة الحكم الفعلي.

مؤسسات الدولة

سعت الجمهورية إلى إنشاء مؤسسات رسمية شملت:إدارة مدنية.أجهزة حكومية.مؤسسات تعليمية.نشاطاً ثقافياً وإعلامياً.

كما شهدت المرحلة اهتماماً متزايداً باللغة والثقافة الكورديتين.

الملا مصطفى البارزاني

لعب:

الملا مصطفى البارزاني

دوراً مهماً في حماية الجمهورية.

فقد وصل مع عدد من المقاتلين البارزانيين إلى المنطقة.

وأصبح أحد أهم القادة العسكريين المرتبطين بتجربة مهاباد.

وسيلعب لاحقاً دوراً محورياً في تاريخ الحركة الكوردية في العراق.

التحديات التي واجهت الجمهورية

منذ البداية واجهت الجمهورية تحديات كبيرة.

ومن أبرزها:محدودية الموارد.ضعف الاعتراف الدولي.التعقيدات الإقليمية.الاعتماد على ظروف دولية غير مستقرة.

وكانت هذه العوامل تجعل مستقبل الجمهورية هشاً.

تغير الموقف الدولي

مع تغير التوازنات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية بدأت الظروف التي ساعدت على قيام الجمهورية تتغير.

وتراجع الدعم الذي استفادت منه الحركة الكوردية خلال الأشهر الأولى.

وأصبحت الجمهورية أكثر عزلة من الناحية السياسية.

سقوط مهاباد

في أواخر سنة 1946 دخلت القوات الإيرانية المنطقة.

وانتهت تجربة جمهورية مهاباد بعد أقل من عام على تأسيسها.

وبذلك انتهت أول تجربة دولة كوردية حديثة في القرن العشرين.

إعدام قاضي محمد

في سنة 1947 أُعدم:

قاضي محمد

مع عدد من رفاقه.

وأصبح مشهد إعدامه من أكثر الصور رسوخاً في الذاكرة الوطنية الكوردية.

كما تحول إلى رمز للنضال السياسي الكوردي في العقود اللاحقة.

الأثر التاريخي لمهاباد

رغم قصر عمر الجمهورية، فإن تأثيرها كان عميقاً.

فقد أصبحت:رمزاً سياسياً.مدرسة للحركة القومية الكوردية.مصدر إلهام للأجيال اللاحقة.مرجعاً أساسياً في الخطاب السياسي الكوردي.كما ارتبطت بها شخصيات ستؤثر في تاريخ المنطقة لعقود طويلة.

إرث الجمهورية

لم تسقط فكرة مهاباد بسقوط الجمهورية نفسها.

بل بقيت حاضرة في:الأدب.السياسة.الذاكرة الشعبية.الدراسات التاريخية.

وأصبحت تمثل بالنسبة لكثير من الكورد رمزاً لإمكانية بناء مؤسسات سياسية كوردية حديثة.

مثلت جمهورية مهاباد تجربة قصيرة في الزمن لكنها عميقة الأثر في التاريخ. فقد جسدت أول محاولة حديثة لبناء كيان سياسي كوردي في القرن العشرين، وخلقت رموزاً وأفكاراً استمرت بعد سقوطها بسنوات طويلة. ومع نهاية مهاباد لم تنتهِ

الحركة الكوردية، بل دخلت مرحلة جديدة سيكون مركزها هذه المرة كوردستان الجنوبية والعراق.

من مهاباد إلى ثورة أيلول
صعود الحركة الكوردية في العراق
1947–1961م

وفيه :خروج الملا مصطفى البارزاني إلى الاتحاد السوفيتي.أوضاع الكورد في العراق بعد الحرب العالمية الثانية.الحركات السياسية الكوردية.تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني.عودة البارزاني.الطريق إلى ثورة أيلول 1961.

من مهاباد إلى ثورة أيلول
صعود الحركة الكوردية في العراق
1947–1961م

بعد سقوط جمهورية مهاباد سنة 1946 دخلت الحركة الكوردية مرحلة جديدة. فبينما انتهت أول تجربة دولة كوردية حديثة، لم تنتهِ الأفكار والتنظيمات والشخصيات التي نشأت خلالها.

وخلال السنوات التالية انتقل مركز الثقل السياسي والعسكري للحركة الكوردية تدريجياً إلى كوردستان الجنوبية في العراق، حيث ستتشكل واحدة من أهم مراحل التاريخ الكوردي المعاصر.

انسحاب البارزانيين من مهاباد

بعد سقوط الجمهورية واجه المقاتلون الكورد أوضاعاً صعبة.

وكان من أبرز الشخصيات في تلك المرحلة:

الملا مصطفى البارزاني

الذي وجد نفسه أمام خيارات محدودة بعد انهيار المشروع السياسي في مهاباد.

المسيرة نحو الاتحاد السوفيتي

في سنة 1947 قاد الملا مصطفى البارزاني مجموعة من المقاتلين في رحلة طويلة وشاقة انتهت بوصولهم إلى الاتحاد السوفيتي.

وأصبحت هذه المسيرة إحدى أشهر الوقائع في تاريخ الحركة الكوردية الحديثة.

وقد استمرت سنوات المنفى فترة مهمة في حياة البارزاني وتطور أفكاره السياسية والعسكرية.

أوضاع الكورد في العراق

في تلك الفترة كان العراق يعيش تحولات سياسية متسارعة.

ورغم مشاركة الكورد في الحياة السياسية بدرجات مختلفة، فإن مطالبهم القومية والإدارية ظلت موضع جدل وخلاف مع الحكومات المتعاقبة.

وأدى ذلك إلى استمرار حالة التوتر السياسي.

النشاط السياسي الكوردي

شهدت الخمسينيات توسع النشاط السياسي والتنظيمي بين الكورد.

فقد بدأت تظهر:أحزاب سياسية.منظمات ثقافية.جمعيات اجتماعية.شبكات من النشطاء والمثقفين.

وكان الهدف الأساسي هو الدفاع عن الحقوق السياسية والثقافية للكورد.

تأسيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني

من أهم أحداث هذه المرحلة تأسيس:

الحزب الديمقراطي الكوردستاني

الذي أصبح لاحقاً أحد أهم التنظيمات السياسية في كوردستان والعراق.

وسيلعب دوراً محورياً في معظم الأحداث الكبرى خلال العقود التالية.

ثورة 14 تموز 1958

في سنة 1958 شهد العراق سقوط النظام الملكي وقيام الجمهورية.

وأدى هذا الحدث إلى تغيرات سياسية واسعة.

كما فتح الباب أمام مرحلة جديدة من العلاقة بين الحركة الكوردية والدولة العراقية.

عودة الملا مصطفى البارزاني

بعد سنوات طويلة في الاتحاد السوفيتي عاد:

الملا مصطفى البارزاني

إلى العراق سنة 1958.

واستُقبل استقبالاً واسعاً في المناطق الكوردية.

وأصبحت عودته حدثاً مفصلياً في تاريخ الحركة الكوردية الحديثة.

تصاعد الخلافات

رغم الآمال التي ظهرت بعد قيام الجمهورية العراقية، بدأت الخلافات تتصاعد تدريجياً بين القيادة الكوردية والحكومة المركزية.

وكانت القضايا الأساسية تتعلق بـ:الحقوق السياسية.الإدارة المحلية.الاعتراف بالهوية الكوردية.توزيع السلطة.

ومع مرور الوقت أصبحت المواجهة أكثر احتمالاً.

الطريق إلى ثورة أيلول

بحلول سنة 1961 وصلت الأزمة إلى مرحلة حاسمة.

فقد فشلت الجهود السياسية في معالجة الخلافات الرئيسية.

وأصبحت المنطقة على أعتاب صراع طويل سيغير تاريخ العراق وكوردستان لعقود قادمة.

وفي أيلول 1961 اندلعت الثورة بقيادة الملا مصطفى البارزاني، لتبدأ واحدة من أطول وأهم مراحل النضال الكوردي المعاصر.

مثلت السنوات الممتدة بين سقوط مهاباد واندلاع ثورة أيلول مرحلة إعادة بناء للحركة الكوردية الحديثة. ففيها تشكلت الأحزاب والتنظيمات، وعاد الملا مصطفى البارزاني إلى الساحة السياسية، وبرزت مطالب جديدة تتعلق بالحقوق القومية والإدارية. ومع اندلاع ثورة أيلول دخلت كوردستان الجنوبية مرحلة جديدة ستصبح محوراً رئيسياً في تاريخ العراق الحديث.

ثورة أيلول الكبرى
1961–1970م

وفيه سندرس:اندلاع الثورة.المعارك الرئيسية.دور البيشمركة.سياسات الحكومة العراقية.النزوح والتهجير.القصف العسكري.الوساطات السياسية.اتفاقية 11 آذار 1970.

ثورة أيلول الكبرى
1961–1970م

تُعد ثورة أيلول الكبرى واحدة من أهم المحطات في التاريخ الكوردي المعاصر. فقد استمرت قرابة عقد من الزمن، وتحولت من مواجهة محلية محدودة إلى قضية سياسية وعسكرية كبرى أثرت في العراق والمنطقة بأسرها.

وخلال هذه السنوات شهدت كوردستان معارك واسعة ونزوحاً سكانياً وتغيرات سياسية عميقة، كما أصبحت الثورة رمزاً للنضال الكوردي في القرن العشرين.

اندلاع الثورة

في أيلول سنة 1961 بدأت المواجهات المسلحة بين الحركة الكوردية والحكومة العراقية.

وجاءت الثورة بعد سنوات من الخلافات السياسية التي لم تنجح المفاوضات في حلها.

وسرعان ما امتدت العمليات العسكرية إلى مناطق واسعة من كوردستان الجنوبية.

قيادة الثورة

قاد الثورة:

الملا مصطفى البارزاني

الذي أصبح الشخصية المحورية في الحركة الكوردية خلال تلك المرحلة.

واعتمدت الثورة على شبكة واسعة من المقاتلين والقيادات المحلية.

قوات البيشمركة

برزت قوات:

البيشمركة

بوصفها العمود الفقري للعمل العسكري.

واعتمدت على:المعرفة بالتضاريس الجبلية.الحركة السريعة.الدعم المحلي.أساليب القتال غير النظامية.

وكانت الجبال مرة أخرى عاملاً مهماً في مسار الصراع.

العمليات العسكرية

شهدت سنوات الثورة سلسلة طويلة من المعارك والمواجهات.

وشملت:حملات عسكرية حكومية.اشتباكات في المناطق الجبلية.عمليات كر وفر.حصار بعض المناطق.

وتفاوتت نتائج هذه العمليات بين فترة وأخرى.

أثر الحرب على المدنيين

لم تقتصر آثار الصراع على المقاتلين.

بل تأثر المدنيون بصورة مباشرة من خلال:النزوح.تدمير بعض القرى.تراجع النشاط الزراعي.اضطراب الحياة الاقتصادية.

وأصبحت الحرب جزءاً من الحياة اليومية في كثير من المناطق.

البعد السياسي

إلى جانب القتال استمرت المحاولات السياسية لإيجاد تسوية.

وشهدت المرحلة:مفاوضات متكررة.وساطات داخلية وخارجية.مبادرات مختلفة للحل.

لكن الوصول إلى اتفاق شامل احتاج سنوات طويلة من الصراع.

التحولات داخل العراق

تزامنت الثورة مع تغيرات سياسية مهمة داخل العراق.

فقد شهدت البلاد انقلابات وصراعات على السلطة أثرت بصورة مباشرة في مسار القضية الكوردية.

وكانت العلاقة بين بغداد والحركة الكوردية تتأثر باستمرار بهذه التطورات.

الطريق إلى اتفاقية 11 آذار

بحلول أواخر الستينيات أصبحت جميع الأطراف تدرك صعوبة تحقيق حسم عسكري كامل.

ولهذا ازدادت الجهود الرامية إلى التوصل إلى حل سياسي.

وأدت هذه الجهود في النهاية إلى اتفاق تاريخي سنة 1970.

اتفاقية 11 آذار 1970

في 11 آذار 1970 تم التوصل إلى اتفاق بين الحكومة العراقية والحركة الكوردية.

وتضمن الاتفاق مبادئ مهمة تتعلق بالحقوق القومية والإدارية للكورد.

واعتبر في حينه خطوة تاريخية نحو تسوية النزاع.

الآمال والتحديات

استقبل كثير من الكورد الاتفاق بتفاؤل كبير.

لكن تطبيق بنوده واجه تحديات متعددة خلال السنوات التالية.

وسرعان ما بدأت تظهر خلافات جديدة حول آليات التنفيذ وحدود الالتزامات المتبادلة.

إرث ثورة أيلول

أصبحت ثورة أيلول جزءاً أساسياً من الذاكرة السياسية الكوردية.

فقد:عززت مكانة الحركة الكوردية.رسخت دور البيشمركة.وضعت القضية الكوردية في صدارة المشهد العراقي.مهدت للتطورات الكبرى التي ستأتي لاحقاً.

مثلت ثورة أيلول أكبر حركة سياسية وعسكرية كوردية في العراق خلال القرن العشرين حتى ذلك الوقت. وبين سنوات الحرب الطويلة والمفاوضات الشاقة

نشأت آمال كبيرة بإيجاد حل دائم للقضية الكوردية. لكن الأحداث اللاحقة ستُظهر أن الطريق نحو الاستقرار كان لا يزال طويلاً ومليئاً بالتحديات.

من اتفاقية 11 آذار إلى نكسة 1975
انهيار الثورة وبداية التهجير الواسع
1970–1975م

وفيه :تنفيذ اتفاقية 11 آذار.الخلافات حول كركوك والمناطق المتنازع عليها.تصاعد التوتر بين بغداد والحركة الكوردية.اتفاقية الجزائر 1975.انهيار الثورة.موجات النزوح الكبرى.أثر نكسة 1975 على المجتمع الكوردي.

من اتفاقية 11 آذار إلى نكسة 1975
انهيار الثورة وبداية التهجير الواسع
1970–1975م

استقبل الكورد اتفاقية 11 آذار 1970 بقدر كبير من التفاؤل، إذ بدت وكأنها تفتح الباب أمام حل تاريخي للقضية الكوردية داخل العراق.

لكن السنوات التي تلت الاتفاقية كشفت أن الطريق نحو التسوية النهائية كان أكثر تعقيداً مما بدا في البداية.

فبين الآمال السياسية والخلافات المتراكمة دخلت العلاقة بين بغداد والحركة الكوردية مرحلة جديدة انتهت بواحدة من أكثر المحطات إيلاماً في التاريخ الكوردي المعاصر: نكسة 1975.

اتفاقية 11 آذار وآمال الحكم الذاتي

نصت الاتفاقية على مجموعة من المبادئ المهمة المتعلقة بالحقوق القومية للكورد.

ومن أبرزها:الاعتراف بالشعب الكوردي.تطوير الإدارة الذاتية.المشاركة في مؤسسات الدولة.تعزيز الحقوق الثقافية والتعليمية.

وأثارت هذه البنود آمالاً واسعة في المجتمع الكوردي.

صعوبات التنفيذ

مع مرور الوقت بدأت تظهر خلافات متزايدة بين الطرفين.

وكانت الخلافات تتعلق بـ:تفسير بعض بنود الاتفاق.حدود منطقة الحكم الذاتي.توزيع الصلاحيات.الترتيبات الإدارية والسياسية.

وأصبح التوتر يتزايد عاماً بعد عام.

قضية كركوك

كانت مدينة:

كركوك

واحدة من أكثر القضايا حساسية خلال هذه المرحلة.

فقد اختلفت الرؤى حول وضع المدينة ومستقبلها الإداري.

وأصبحت القضية محوراً رئيسياً في الخلافات السياسية بين الحكومة العراقية والحركة الكوردية.

تصاعد التوتر العسكري

رغم استمرار الحوار السياسي، بدأت المواجهات العسكرية تتجدد تدريجياً.

وشهدت بعض المناطق:اشتباكات مسلحة.تحركات عسكرية.توترات أمنية متزايدة.

وأصبحت احتمالات العودة إلى الحرب أكثر وضوحاً.

الحرب من جديد

بحلول عام 1974 دخل الطرفان في مواجهة واسعة النطاق.

وعادت المعارك إلى مناطق عديدة من كوردستان.

وشهدت المرحلة استخداماً مكثفاً للقوة العسكرية من قبل الحكومة العراقية.

كما تعرضت القرى والمناطق الريفية إلى ضغوط كبيرة نتيجة استمرار العمليات القتالية.

اتفاقية الجزائر 1975

في آذار 1975 تم توقيع:

اتفاقية الجزائر

بين العراق وإيران.

وشكلت هذه الاتفاقية نقطة تحول حاسمة في مسار الصراع.

إذ أدت التفاهمات الجديدة بين الدولتين إلى تغير جذري في التوازنات التي كانت قائمة خلال السنوات السابقة.

انهيار الثورة

بعد اتفاقية الجزائر فقدت الحركة الكوردية جزءاً أساسياً من الدعم الذي كانت تعتمد عليه.

وخلال فترة قصيرة انهارت الجبهة العسكرية للثورة.

وأصبحت قوات البيشمركة أمام واقع جديد شديد الصعوبة.

وكان هذا الحدث من أكثر اللحظات إيلاماً في تاريخ الحركة الكوردية الحديثة.

النزوح الجماعي

أدت التطورات العسكرية والسياسية إلى موجات واسعة من النزوح.

فقد اضطرت أعداد كبيرة من العائلات إلى مغادرة مناطقها.

وشهدت الحدود والمناطق الجبلية تحركات سكانية واسعة.

وكانت هذه الموجات من أكبر عمليات النزوح التي عرفتها كوردستان في القرن العشرين حتى ذلك الوقت.

الأثر النفسي والاجتماعي

لم تكن الخسائر عسكرية فقط.

بل تركت نكسة 1975 آثاراً عميقة على:المجتمع الكوردي.العائلات النازحة.الحركة السياسية.الوعي الجماعي.

وأصبحت هذه الأحداث جزءاً أساسياً من الذاكرة الكوردية الحديثة.

إعادة بناء الحركة الكوردية

رغم حجم الخسارة، لم تنتهِ الحركة الكوردية.

فخلال السنوات التالية بدأت تظهر تنظيمات وقيادات جديدة.

كما بدأت عملية إعادة تنظيم العمل السياسي والعسكري في ظروف أكثر تعقيداً.

الطريق إلى مرحلة أكثر قسوة

مع نهاية سنة 1975 دخلت كوردستان مرحلة جديدة.

فالحرب لم تنتهِ فعلياً، بل تغيرت أشكالها.

وخلال العقد التالي ستشهد المنطقة أحداثاً أكثر مأساوية، من بينها:حملات التهجير.تدمير القرى.الحرب العراقية الإيرانية.عمليات الأنفال.مأساة حلبجة.

مثلت نكسة 1975 نقطة تحول مؤلمة في التاريخ الكوردي المعاصر. فقد انتهت ثورة أيلول التي استمرت سنوات طويلة، وواجه المجتمع الكوردي موجات نزوح وخسائر واسعة. ومع ذلك لم تختفِ الحركة الكوردية، بل بدأت مرحلة جديدة من إعادة التنظيم والاستعداد لمواجهة تحديات أكبر ستظهر خلال الثمانينيات، وهي الفترة التي ستشهد أعنف حملات العنف والتهجير في تاريخ كوردستان الحديث.

الحرب العراقية الإيرانية وكوردستان
الطريق إلى الأنفال
1980–1988م

كوردستان في قلب الحرب

بسبب موقعها الجغرافي أصبحت مناطق واسعة من كوردستان ساحة للعمليات العسكرية.

فقد شهدت المنطقة:تحركات عسكرية متواصلة.انتشار القوات على نطاق واسع.اشتباكات في المناطق الحدودية.عمليات قصف متكررة.

وأدى ذلك إلى تحويل أجزاء كبيرة من الريف الكوردي إلى مناطق حرب فعلية.

الحركة الكوردية خلال الحرب

خلال الثمانينيات واصلت الأحزاب والحركات الكوردية نشاطها السياسي والعسكري.

واستفادت بعض القوى الكوردية من ظروف الحرب لتعزيز وجودها في عدد من المناطق الجبلية.

وأدى ذلك إلى زيادة التوتر بينها وبين الحكومة العراقية.

تدمير القرى

شهدت سنوات الحرب حملات واسعة استهدفت مناطق ريفية عديدة.

وتعرضت أعداد كبيرة من القرى إلى:التدمير.الإخلاء القسري.حرق الممتلكات.إزالة البنية الزراعية.

وكان الهدف المعلن في كثير من الحالات منع استخدام هذه المناطق لأغراض عسكرية.

التهجير القسري

أدت العمليات العسكرية إلى نقل أعداد كبيرة من السكان من قراهم الأصلية.

وشهدت الثمانينيات توسع سياسة:التجميع السكاني.النقل القسري.إخلاء المناطق الحدودية.

وأصبح عشرات الآلاف من المدنيين يعيشون بعيداً عن مناطقهم الأصلية.

سياسة الأرض المحروقة

في السنوات الأخيرة من الحرب تصاعدت الإجراءات العسكرية بصورة كبيرة.

وشملت:تدمير البنية الريفية.إزالة قرى كاملة.قطع مصادر المعيشة.توسيع المناطق العسكرية.

وأدت هذه السياسات إلى خسائر اجتماعية واقتصادية واسعة النطاق.

المجتمع الكوردي تحت الضغط

وجد السكان المدنيون أنفسهم بين:الحرب العراقية الإيرانية.العمليات العسكرية الداخلية.النزوح المتكرر.التدهور الاقتصادي.

وكانت الثمانينيات من أصعب العقود التي مرت على المجتمع الكوردي في العراق خلال القرن العشرين.

التصعيد نحو الأنفال

بحلول عام 1987 بدأت المؤشرات تدل على دخول الصراع مرحلة جديدة أكثر قسوة.

فقد ازدادت العمليات العسكرية.

وتوسعت الحملات الأمنية.

وأصبحت مناطق واسعة من كوردستان معرضة لإجراءات غير مسبوقة.

وكانت الأحداث تتجه نحو ما سيُعرف لاحقاً باسم:

حملات الأنفال

عام 1988

في الأشهر الأخيرة من الحرب العراقية الإيرانية بلغت المواجهة ذروتها.

وأصبحت كوردستان مسرحاً لسلسلة من العمليات العسكرية الواسعة التي ستترك آثاراً عميقة على المجتمع الكوردي لعقود طويلة.

ومن بين هذه الأحداث برزت:حملات الأنفال.تدمير آلاف القرى.الاختفاء القسري لعشرات الآلاف.مأساة حلبجة.

نهاية مرحلة وبداية مأساة أكبر

عندما اقتربت الحرب العراقية الإيرانية من نهايتها لم يكن سكان كوردستان يتوقعون أن أكثر الفصول مأساوية لم يكن قد كُتب بعد.

فبين شباط وأيلول 1988 شهدت المنطقة أحداثاً ستصبح من أكثر الوقائع توثيقاً وإثارة للجدل في تاريخ الشرق الأوسط الحديث.

كانت الحرب العراقية الإيرانية أكثر من مجرد صراع بين دولتين بالنسبة لكوردستان. فقد تحولت سنوات الحرب إلى مرحلة من التدمير والتهجير وإعادة تشكيل المجتمع الريفي الكوردي. ومع اقتراب نهاية الحرب دخلت المنطقة مرحلة جديدة ستشهد حملات الأنفال ومأساة حلبجة، وهما الحدثان اللذان يمثلان الذروة المأساوية في تاريخ كوردستان المعاصر.

الأنفال
أكبر كارثة في تاريخ كوردستان المعاصر
1988م

وفيه سندرس:خلفية حملات الأنفال.المراحل الثماني للأنفال.القرى المدمرة.المعتقلات.المفقودون.المقابر الجماعية.التقديرات المختلفة للضحايا.ردود الفعل الدولية.أثر الأنفال على المجتمع الكوردي حتى اليوم.

الأنفال
أكبر كارثة في تاريخ كوردستان المعاصر
1988م

تُعد حملات الأنفال من أكثر الأحداث مأساوية في تاريخ الشعب الكوردي خلال القرن العشرين، ومن أكثر العمليات العسكرية إثارة للجدل والدراسة في تاريخ الشرق الأوسط الحديث.

ففي سنة 1988، وبينما كانت الحرب العراقية الإيرانية تقترب من نهايتها، شهدت مناطق واسعة من كوردستان سلسلة من العمليات العسكرية والأمنية الواسعة النطاق التي استهدفت الريف الكوردي ومناطقه السكانية.

وقد تركت هذه الأحداث آثاراً عميقة ما زالت حاضرة في الذاكرة الجماعية للكورد حتى اليوم.

خلفية الأنفال

جاءت حملات الأنفال في سياق معقد تداخلت فيه:الحرب العراقية الإيرانية.نشاط الحركة الكوردية المسلحة.السياسات الأمنية للدولة العراقية.الأوضاع العسكرية على الجبهات الشمالية.

وبحلول عام 1988 كانت السلطات العراقية قد اتخذت قراراً بتنفيذ حملة واسعة في المناطق الكوردية.

تسمية الأنفال

استُخدم اسم:

حملات الأنفال

عنواناً رسمياً لهذه العمليات.

وأصبح هذا الاسم لاحقاً مرتبطاً بأحد أكثر الأحداث دموية في تاريخ العراق الحديث.

المراحل الثماني

نفذت الأنفال على عدة مراحل متتالية خلال سنة 1988.

وشملت مناطق واسعة من:بهدينان.كرميان.سوران.مناطق أخرى من كوردستان.

وكانت كل مرحلة تستهدف مناطق محددة ضمن خطة عسكرية وأمنية واسعة.

تدمير القرى

من أبرز نتائج الأنفال التدمير الواسع للقرى الكوردية.

فقد تعرضت آلاف القرى إلى:الإزالة الكاملة.الحرق.الهدم.إخلاء السكان.

وأدى ذلك إلى تغيير عميق في الخريطة السكانية والريفية لكوردستان.

الاعتقالات الجماعية

شهدت الحملة عمليات اعتقال واسعة شملت:رجالاً.نساءً.أطفالاً.كبار السن.

ونُقل عدد كبير من المدنيين إلى مراكز احتجاز ومواقع مختلفة خارج مناطقهم الأصلية.

المفقودون

من أكثر الجوانب إيلاماً في ملف الأنفال قضية المفقودين.

فقد اختفى عشرات الآلاف من الأشخاص خلال العمليات.

ولسنوات طويلة بقي مصير كثير منهم مجهولاً.

وأصبحت قضية المفقودين واحدة من أبرز الملفات الإنسانية المرتبطة بالأنفال.

المقابر الجماعية

بعد سنوات من انتهاء الحملة كُشف عن عدد كبير من:

المقابر الجماعية

في مناطق مختلفة من العراق.

وأدت هذه الاكتشافات إلى توفير أدلة إضافية حول حجم المأساة الإنسانية التي وقعت خلال تلك الفترة.

حجم الخسائر البشرية

تختلف التقديرات المتعلقة بعدد الضحايا.

لكن كثيراً من الدراسات والمؤسسات الحقوقية تشير إلى أعداد كبيرة من القتلى والمفقودين.

وأصبح ملف الضحايا أحد أكثر ملفات التاريخ العراقي الحديث حساسية وتعقيداً.

الأثر الاجتماعي

لم تقتصر آثار الأنفال على الخسائر البشرية.

بل شملت أيضاً:تفكك مجتمعات محلية كاملة.ضياع قرى تاريخية.فقدان مصادر الرزق.اضطرابات نفسية واجتماعية استمرت لأجيال.

وأصبحت عائلات كثيرة تعيش لعقود مع آثار الفقدان والتهجير.

الأثر الاقتصادي

أدت الأنفال إلى:تدمير البنية الزراعية.فقدان الأراضي والممتلكات.انهيار الاقتصاد الريفي في مناطق واسعة.زيادة الاعتماد على المدن ومخيمات التجميع.

وكانت إعادة الإعمار تحتاج سنوات طويلة بعد انتهاء الأحداث.

ردود الفعل الدولية

في وقت وقوع الأنفال كانت ردود الفعل الدولية محدودة مقارنة بحجم الأحداث.

لكن خلال السنوات اللاحقة ازداد الاهتمام الدولي بالملف.

وأصبحت الأنفال موضوعاً للدراسات والتقارير الحقوقية والتحقيقات القانونية.

الاعتراف القانوني

في العقود اللاحقة اعتبرت جهات ومؤسسات متعددة أن ما جرى خلال الأنفال يمثل جريمة واسعة النطاق ضد السكان المدنيين.

وأصبح الملف جزءاً مهماً من النقاشات القانونية والحقوقية المتعلقة بتاريخ العراق الحديث.

الذاكرة الكوردية

تحتل الأنفال مكانة مركزية في الذاكرة الجماعية للكورد.

فهي ليست مجرد حدث تاريخي، بل تجربة إنسانية تركت أثراً عميقاً في آلاف العائلات.

ولهذا لا تزال ذكراها حاضرة في:الأدب.الفن.المناهج التعليمية.المراسم التذكارية السنوية.

الأنفال بوصفها نقطة تحول

غيرت الأنفال كثيراً من التصورات السياسية والاجتماعية داخل كوردستان.

وأصبحت إحدى المحطات الأساسية التي أعادت تشكيل الوعي الكوردي المعاصر.

كما ساهمت في إبراز القضية الكوردية على المستوى الدولي بصورة أكبر مما كان عليه الحال سابقاً.

تمثل الأنفال واحدة من أكبر الكوارث الإنسانية في تاريخ كوردستان الحديث. فقد امتدت آثارها من القرى المدمرة إلى المقابر الجماعية، ومن المفقودين إلى الأجيال التي عاشت نتائجها لعقود طويلة. ورغم مرور السنوات، ما زالت الأنفال حاضرة بوصفها جرحاً مفتوحاً في الذاكرة الكوردية، وواحدة من أكثر القضايا تأثيراً في تشكيل التاريخ السياسي والاجتماعي المعاصر لكوردستان.

حلبجة
اليوم الذي تغير فيه تاريخ كوردستان
16آذار1988(

وفيه:مدينة حلبجة قبل الهجوم.السياق العسكري والسياسي.أحداث 16 آذار 1988 ساعة بساعة.الضحايا.الناجون.الشهادات الإنسانية.ردود الفعل الدولية.أثر حلبجة على القضية الكوردية عالمياً.حلبجة في الذاكرة الوطنية الكوردية.

حلبجة
اليوم الذي تغير فيه تاريخ كوردستان
16آذار 1988م

في تاريخ الشعوب توجد أيام تتحول إلى رموز لا تمحى من الذاكرة الجماعية. وبالنسبة للشعب الكوردي، يُعد يوم 16 آذار 1988 واحداً من أكثر الأيام حضوراً في الوعي الوطني والإنساني.

ففي ذلك اليوم تعرضت مدينة حلبجة لأحد أكثر الهجمات شهرة في تاريخ النزاعات الحديثة، وهو الحدث الذي حوّل اسم المدينة إلى رمز عالمي للمعاناة الإنسانية ولآثار الحروب على المدنيين.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت حلبجة جزءاً من الذاكرة الكوردية والعراقية والعالمية.

مدينة حلبجة قبل الكارثة

تقع:

حلبجة

في جنوب شرق كوردستان العراق بالقرب من الحدود الإيرانية.

وكانت المدينة معروفة بـ:نشاطها الزراعي.أسواقها المحلية.موقعها التجاري.دورها الثقافي والاجتماعي.

وقبل سنة 1988 كانت تضم عشرات الآلاف من السكان.

السياق العسكري

وقعت أحداث حلبجة خلال المرحلة الأخيرة من الحرب العراقية الإيرانية.

وفي تلك الفترة كانت المنطقة تشهد:عمليات عسكرية متواصلة.تغيرات في السيطرة الميدانية.تصاعداً في حدة المواجهات.

وأصبحت المدينة جزءاً من مسرح العمليات العسكرية الدائر آنذاك.

الأيام التي سبقت الهجوم

شهدت المنطقة قبل 16 آذار تطورات عسكرية سريعة.

وتزايدت المخاوف بين السكان بسبب:القصف.الاشتباكات.حركة القوات.حالة عدم الاستقرار.

لكن كثيراً من المدنيين بقوا داخل المدينة لعدم امتلاكهم وسائل الهرب أو لاعتقادهم أن الخطر لن يصل إلى ذلك المستوى.

يوم 16 آذار 1988

في ذلك اليوم تعرضت المدينة لهجوم أدى إلى سقوط أعداد كبيرة من الضحايا المدنيين.

وخلال ساعات قليلة تحولت شوارع المدينة وأحياؤها إلى مشاهد مأساوية بقيت راسخة في الذاكرة العالمية.

وأصبح الهجوم واحداً من أكثر الأحداث توثيقاً في تاريخ كوردستان الحديث.

الضحايا

تشير أغلب التقديرات إلى مقتل آلاف المدنيين خلال الهجوم.

كما أصيب عدد أكبر من السكان بإصابات وآثار صحية مختلفة.

وكان بين الضحايا:أطفال.نساء.كبار السن.عائلات كاملة.

ولهذا أصبحت حلبجة رمزاً لمعاناة المدنيين أثناء الحروب.

الناجون

لم تنتهِ المأساة بالنسبة للذين بقوا على قيد الحياة.

فقد واجه كثير من الناجين:مشكلات صحية طويلة الأمد.آثاراً نفسية عميقة.فقدان أفراد الأسرة.فقدان الممتلكات والمنازل.

وأصبحت قصصهم جزءاً مهماً من توثيق الحدث.

الشهادات الإنسانية

من أكثر ما جعل حلبجة حاضرة في الذاكرة العالمية كثرة الشهادات والصور التي خرجت من المدينة بعد الهجوم.

وقد وثقت هذه الشهادات:لحظات الهروب.محاولات الإنقاذ.معاناة العائلات.

آثار الكارثة على السكان.

وأصبحت هذه الوثائق من أهم المصادر المتعلقة بتاريخ الحدث.

ردود الفعل الدولية

في البداية لم يكن حجم الكارثة واضحاً بصورة كاملة للرأي العام العالمي.

لكن مع مرور الوقت بدأت:التقارير الصحفية.التحقيقات.الدراسات الحقوقية.

في إظهار حجم المأساة التي وقعت.

وأصبحت حلبجة قضية معروفة على المستوى الدولي.

الأثر الصحي والاجتماعي

امتدت آثار الهجوم إلى ما بعد سنة 1988 بسنوات طويلة.

فقد واجه السكان تحديات مرتبطة بـ:الرعاية الصحية.إعادة الإعمار.الآثار النفسية.فقدان أفراد العائلة.

وأصبحت المدينة مثالاً على الآثار الممتدة للحروب على المجتمعات المدنية.

حلبجة في الذاكرة الكوردية

تحتل حلبجة مكانة خاصة في الوعي الوطني الكوردي.

وأصبحت ذكراها حاضرة في:الأدب.الشعر.الفنون.المناهج الدراسية.النصب التذكارية.

كما تُحيى ذكراها سنوياً بوصفها إحدى أهم محطات التاريخ الكوردي الحديث.

الأثر العالمي

تحول اسم حلبجة إلى رمز دولي يتجاوز حدود كوردستان والعراق.

وأصبحت المدينة تُذكر في النقاشات المتعلقة بـ:حماية المدنيين.حقوق الإنسان.آثار الحروب.القانون الدولي الإنساني.

حلبجة بوصفها نقطة تحول

لم تكن حلبجة مجرد مأساة إنسانية.

بل أصبحت أيضاً نقطة تحول سياسية وأخلاقية في النظر إلى القضية الكوردية على المستوى الدولي.

فقد ساهمت في زيادة الاهتمام العالمي بما جرى في كوردستان خلال الثمانينيات.

أصبحت حلبجة رمزاً لمعاناة الشعب الكوردي خلال القرن العشرين، ورمزاً إنسانياً يتجاوز حدود الجغرافيا والسياسة. وبين صور الضحايا وشهادات الناجين بقيت المدينة شاهداً على واحدة من أكثر الكوارث تأثيراً في تاريخ كوردستان الحديث. ومع نهاية الثمانينيات كانت المنطقة تتجه نحو تحولات جديدة ستقود إلى انتفاضة 1991 وسقوط مرحلة كاملة من تاريخ العراق الحديث.

انتفاضة 1991
الطريق إلى إقليم كوردستان

وفيه :حرب الخليج الثانية.الانتفاضة الكوردية.سقوط المدن بيد المنتفضين.موجة النزوح الكبرى إلى الجبال والحدود.المنطقة الآمنة.الحظر الجوي.تأسيس برلمان كوردستان.بداية الحكم الذاتي الفعلي.

انتفاضة 1991
الطريق إلى إقليم كوردستان

بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية دخل العراق مرحلة جديدة من الأزمات والصراعات. وفي سنة 1990 أدى غزو الكويت إلى اندلاع أزمة دولية كبرى انتهت بحرب الخليج الثانية سنة 1991.

وكانت نتائج هذه الحرب نقطة تحول تاريخية بالنسبة لكوردستان، إذ أدت إلى اندلاع انتفاضة شعبية واسعة غيرت مسار التاريخ الكوردي المعاصر.

حرب الخليج الثانية

في كانون الثاني 1991 بدأت العمليات العسكرية التي قادها التحالف الدولي ضد العراق.

وخلال أسابيع قليلة تعرضت البنية العسكرية العراقية لضغوط كبيرة.

وأدى ذلك إلى تغيرات سريعة في الأوضاع الداخلية للبلاد.

اندلاع الانتفاضة

في آذار 1991 بدأت الانتفاضة الشعبية في عدد من مناطق العراق.

وامتدت بسرعة إلى مدن كوردستان.

وخلال فترة قصيرة شهدت مدن عديدة تحركات واسعة ضد السلطة المركزية.

سقوط المدن

تمكن المنتفضون من السيطرة على عدد كبير من المدن الكوردية.

ومن أبرزها:أربيل (هولير).السليمانية.دهوك.كركوك لفترة محدودة.

وأصبح المشهد السياسي والعسكري في كوردستان مختلفاً بصورة جذرية عما كان عليه قبل أسابيع فقط.

الرد العسكري

مع إعادة تنظيم القوات الحكومية بدأت عمليات عسكرية مضادة.

وأدى ذلك إلى حالة من الخوف والقلق بين السكان المدنيين الذين كانوا يتذكرون أحداث الأنفال وحلبجة.

النزوح الكبير

شهد ربيع سنة 1991 واحدة من أكبر موجات النزوح في تاريخ كوردستان الحديث.

فقد تحركت أعداد هائلة من المدنيين نحو:الجبال.الحدود التركية.الحدود الإيرانية.

وكانت الظروف الإنسانية شديدة القسوة.

المأساة الإنسانية

واجه النازحون:البرد.نقص الغذاء.نقص الدواء.صعوبة الوصول إلى المساعدات.

وسقط عدد من الضحايا خلال رحلة النزوح بسبب الظروف القاسية.

وأصبحت صور النازحين على الجبال من أكثر الصور تأثيراً في الإعلام العالمي آنذاك.

التدخل الدولي

أثارت الأزمة الإنسانية اهتماماً دولياً واسعاً.

وأطلقت عدة دول ومنظمات جهوداً لتقديم المساعدات للمدنيين.

كما بدأت مناقشات دولية حول كيفية حماية السكان المدنيين في شمال العراق.

المنطقة الآمنة

في سنة 1991 أُنشئت منطقة آمنة في أجزاء من كوردستان.

كما فُرض حظر جوي في شمال العراق.

وأدى ذلك إلى تغير جذري في الواقع السياسي والعسكري للمنطقة.

فقد أصبحت السلطات العراقية أقل قدرة على ممارسة نفوذها المباشر في أجزاء واسعة من كوردستان.

بداية الحكم الذاتي الفعلي

أتاحت الظروف الجديدة للكورد فرصة إدارة شؤونهم بصورة غير مسبوقة.

وبدأت تتشكل مؤسسات سياسية وإدارية جديدة.

وأصبحت كوردستان تدخل مرحلة مختلفة عن جميع المراحل السابقة منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة.

انتخابات 1992

في سنة 1992 جرت انتخابات مهمة في كوردستان.

وأدت إلى تشكيل:برلمان كوردستان الذي أصبح أحد أبرز مؤسسات الحكم الجديدة.

وشكلت هذه الخطوة أساس النظام السياسي الذي سيتطور خلال العقود التالية.

ولادة تجربة جديدة

للمرة الأولى منذ عقود طويلة أصبحت أجزاء واسعة من كوردستان تُدار من قبل مؤسسات كوردية محلية.

ورغم التحديات والصعوبات الكبيرة، فإن هذه المرحلة شكلت بداية تجربة سياسية جديدة ستؤثر في مستقبل المنطقة.

إرث انتفاضة 1991

أصبحت الانتفاضة واحدة من أهم الأحداث في التاريخ الكوردي المعاصر.

فقد:أنهت مرحلة كاملة من الخوف والدمار.فتحت الطريق أمام الحكم الذاتي.غيرت العلاقة بين كوردستان وبغداد.مهدت لظهور إقليم كوردستان بصورته الحديثة.

مثلت انتفاضة 1991 نقطة تحول تاريخية في مسيرة الشعب الكوردي. فمن قلب المأساة الإنسانية والنزوح الجماعي وُلد واقع سياسي جديد لم يكن متصوراً قبل سنوات قليلة. ومع تأسيس المؤسسات المنتخبة وبداية الإدارة الذاتية دخلت كوردستان مرحلة جديدة ستشهد نجاحات وإخفاقات وصراعات داخلية، لكنها ستؤسس في النهاية لظهور إقليم كوردستان المعاصر.

الحرب الأهلية الكوردية
الاقتتال بين الإخوة
1994–1998م

وفيه :أسباب الخلافات السياسية.الصراع بين الحزبين الرئيسيين.المعارك الداخلية.الخسائر البشرية.التأثير الاجتماعي.اتفاق واشنطن 1998.إعادة توحيد المؤسسات.

الحرب الأهلية الكوردية
الاقتتال بين الإخوة
1994–1998م

بعد سنوات من التفاؤل التي أعقبت انتفاضة 1991 وتأسيس مؤسسات الحكم الذاتي، واجهت كوردستان واحدة من أصعب المراحل في تاريخها المعاصر.

فبدلاً من الصراع مع قوة خارجية، دخلت المنطقة في نزاع داخلي بين القوى السياسية الكوردية الرئيسية.

وأدى هذا النزاع إلى خسائر بشرية واجتماعية وسياسية كبيرة، وترك آثاراً عميقة على المجتمع الكوردي.

الخلفية السياسية

شهدت السنوات الأولى من الحكم الذاتي تحديات متعددة.

ومن أبرزها:ضعف الموارد الاقتصادية.آثار الحصار الدولي على العراق.الخلافات السياسية.التنافس على إدارة المؤسسات.

ومع مرور الوقت ازدادت حدة التوتر بين القوى السياسية الرئيسية.

أسباب الصراع

لم يكن النزاع نتيجة سبب واحد.

بل جاء نتيجة مجموعة من العوامل المتداخلة، منها:الخلافات السياسية.التنافس على الموارد.الخلافات الإدارية.التباين في الرؤى السياسية.

وأدت هذه العوامل إلى تصاعد الأزمة تدريجياً.

اندلاع المواجهات

في سنة 1994 تحولت الخلافات السياسية إلى مواجهات مسلحة.

وسرعان ما امتدت الاشتباكات إلى مناطق متعددة من كوردستان.

وأصبح الإقليم يعيش حالة من الانقسام السياسي والعسكري.

آثار الحرب على المجتمع

أدت المواجهات إلى:سقوط ضحايا من الجانبين.نزوح بعض العائلات.اضطراب النشاط الاقتصادي.تعميق الانقسامات الاجتماعية والسياسية.

وكان المدنيون مرة أخرى من بين أكثر المتضررين من الصراع.

الانقسام الإداري

خلال سنوات النزاع ظهرت إدارتان منفصلتان في أجزاء مختلفة من كوردستان.

وأصبح لكل طرف مؤسساته وأجهزته الخاصة.

وأدى ذلك إلى تعقيد الحياة اليومية للمواطنين وإضعاف التجربة السياسية الناشئة.

التدخلات الإقليمية

لم يجرِ الصراع بمعزل عن البيئة الإقليمية.

فقد حاولت قوى مختلفة التأثير في مسار الأحداث بما يتوافق مع مصالحها.

وأدى ذلك إلى زيادة تعقيد المشهد السياسي والعسكري.

البحث عن الحل

مع استمرار النزاع بدأت أصوات كثيرة تدعو إلى إنهاء الاقتتال.

وكانت هناك قناعة متزايدة بأن استمرار الحرب سيؤدي إلى إضعاف المكاسب التي تحققت بعد انتفاضة 1991.

اتفاق واشنطن

في سنة 1998 تم التوصل إلى:

اتفاق واشنطن

الذي شكل نقطة تحول مهمة في مسار الأزمة.

وساهم الاتفاق في:وقف القتال.فتح باب الحوار.إعادة بناء الثقة تدريجياً.

نهاية الحرب

مع تطبيق التفاهمات السياسية بدأت المواجهات المسلحة تتراجع.

ودخلت كوردستان مرحلة جديدة ركزت على الاستقرار وإعادة بناء المؤسسات.

ورغم بقاء بعض الخلافات، فإن مرحلة الاقتتال الواسع انتهت.

الدروس المستفادة

تركت الحرب الأهلية أثراً عميقاً في الوعي السياسي الكوردي.

وأصبحت تجربة يُستشهد بها كثيراً عند الحديث عن:أهمية الوحدة الداخلية.مخاطر الانقسام.ضرورة الحوار السياسي.

إرث المرحلة

رغم الخسائر الكبيرة، استطاعت كوردستان تجاوز تلك المرحلة تدريجياً.

ومهدت نهاية النزاع الطريق أمام مرحلة جديدة ستبدأ مع التحولات الكبرى التي شهدها العراق بعد سنة 2003.

كانت الحرب الأهلية الكوردية واحدة من أكثر الفصول إيلاماً في التاريخ الكوردي المعاصر، لأنها وضعت أبناء المجتمع الواحد في مواجهة بعضهم بعضاً. لكن انتهاء الصراع وعودة الحوار السياسي سمحا بإعادة بناء التجربة الكوردية ومهدا الطريق لمرحلة جديدة من التطور السياسي والمؤسساتي.

سقوط نظام صدام حسين
وصعود إقليم كوردستان
2003–2013م

وفيه :حرب 2003.سقوط نظام صدام حسين.الدستور العراقي الجديد.الاعتراف بإقليم كوردستان.النمو الاقتصادي.إعادة الإعمار.العلاقات مع بغداد.التحديات السياسية الجديدة.

سقوط نظام صدام حسين
وصعود إقليم كوردستان
2003–2013م

في سنة 2003 شهد العراق واحداً من أكبر التحولات السياسية في تاريخه الحديث. فقد أدى التدخل العسكري الذي قادته الولايات المتحدة وحلفاؤها إلى إسقاط نظام الرئيس العراقي:

صدام حسين

وبذلك انتهت مرحلة سياسية استمرت عقوداً طويلة.

وبالنسبة لكوردستان، شكّل هذا الحدث بداية مرحلة جديدة اتسمت بتوسيع المؤسسات السياسية وتعزيز موقع الإقليم ضمن العراق الجديد.

حرب 2003

بدأت العمليات العسكرية في آذار 2003.

وخلال أسابيع قليلة انهارت مؤسسات الدولة العراقية المركزية.

وسقطت بغداد في نيسان من العام نفسه.

وأصبح العراق يدخل مرحلة إعادة بناء شاملة للنظام السياسي.

كوردستان قبل 2003

عشية الحرب كان إقليم كوردستان يتمتع بإدارة ذاتية فعلية منذ أوائل التسعينيات.

وكانت لديه:مؤسسات حكومية.برلمان منتخب.قوات أمن محلية.إدارة مدنية مستقلة نسبياً عن بغداد.

ولهذا دخل الإقليم مرحلة ما بعد 2003 من موقع مختلف عن بقية مناطق العراق.

المشاركة في العراق الجديد

شارك القادة الكورد بصورة فعالة في العملية السياسية التي أعقبت سقوط النظام.

وساهموا في:صياغة الدستور.بناء المؤسسات الجديدة.تشكيل الحكومات العراقية المتعاقبة.

وأصبح للكورد دور مهم في الحياة السياسية العراقية.

الدستور العراقي

في سنة 2005 أُقر:

الدستور العراقي

الذي اعترف رسمياً بإقليم كوردستان بوصفه كياناً اتحادياً ضمن جمهورية العراق.

وشكل هذا الاعتراف خطوة تاريخية في مسار القضية الكوردية داخل العراق.

بناء المؤسسات

شهدت السنوات التالية توسعاً في مؤسسات الإقليم.

ومن أبرز هذه المؤسسات:الحكومة.البرلمان.الأجهزة الأمنية.الجامعات.الهيئات الاقتصادية.

وأصبحت كوردستان تشهد عملية بناء وإعمار واسعة مقارنة بسنوات الحروب السابقة.

النمو الاقتصادي

بين 2003 و2013 شهد الإقليم نمواً اقتصادياً ملحوظاً.

وتوسعت:مشاريع البنية التحتية.الاستثمارات.شبكات الطرق.قطاع التعليم.القطاع الصحي.

وأصبحت مدن مثل:

أربيل (هولير)

و

السليمانية

تشهدان توسعاً عمرانياً كبيراً.

العلاقات مع بغداد

رغم المشاركة السياسية، استمرت الخلافات بين أربيل وبغداد حول عدد من القضايا.

ومن أبرزها:توزيع الموارد المالية.صلاحيات الإقليم.إدارة النفط والغاز.وضع بعض المناطق المتنازع عليها.

وأصبحت هذه الملفات محوراً دائماً للنقاش السياسي.

التحولات الاجتماعية

شهد المجتمع الكوردي خلال هذه المرحلة تغيرات واسعة.

فقد ارتفع عدد المؤسسات التعليمية.

وتزايدت فرص العمل والاستثمار.

كما ظهرت أجيال جديدة لم تعش فترات الأنفال والحروب السابقة بصورة مباشرة.

التحديات الجديدة

رغم الإنجازات، واجه الإقليم تحديات متعددة.

ومن أبرزها:الخلافات السياسية الداخلية.الاعتماد الاقتصادي على النفط.التوترات الإقليمية.العلاقة المعقدة مع الحكومة الاتحادية.

وأصبحت هذه التحديات جزءاً من المشهد السياسي الجديد.

نهاية مرحلة الاستقرار النسبي

بحلول سنة 2013 كان كثيرون يعتقدون أن كوردستان دخلت مرحلة طويلة من الاستقرار.

لكن الأحداث التي ستقع بعد ذلك بوقت قصير ستغيّر المشهد بالكامل.

ففي سنة 2014 ظهر تهديد جديد وغير مسبوق.

الطريق إلى شنكال

مع تصاعد قوة:

تنظيم داعش

في العراق وسوريا، بدأت ملامح أزمة جديدة تتشكل.

وخلال أشهر قليلة ستواجه كوردستان واحدة من أخطر الكوارث الإنسانية في تاريخها المعاصر.

مثلت السنوات بين 2003 و2013 مرحلة إعادة بناء وصعود سياسي واقتصادي لإقليم كوردستان. فقد انتقل الإقليم من مرحلة البقاء بعد الحروب إلى مرحلة بناء المؤسسات والمشاركة في العراق الجديد. لكن هذا الاستقرار النسبي لم يدم طويلاً، إذ كانت المنطقة على موعد مع تحدٍ وجودي جديد سيظهر مع اجتياح داعش ووقوع كارثة شنكال.

شنكال والإبادة الإيزيدية
2014م

وفيه سندرس:صعود داعش.سقوط شنكال.الجرائم المرتكبة بحق الإيزيديين.النزوح الجماعي.جبل شنكال.السبي والخطف.الجهود الدولية.أثر الكارثة على المجتمع الإيزيدي والكوردي.

شنكال والإبادة الإيزيدية
2014م

في صيف سنة 2014 شهدت كوردستان والعراق واحدة من أخطر الأزمات الإنسانية في القرن الحادي والعشرين. فمع التوسع السريع لتنظيم داعش في العراق وسوريا، تعرضت مناطق واسعة لهجمات مفاجئة وعنيفة.

وكانت منطقة شنكال من أكثر المناطق تضرراً من هذه الأحداث، حيث وقعت فيها جرائم واسعة النطاق تركت آثاراً عميقة على المجتمع الإيزيدي وعلى الذاكرة الكوردية المعاصرة.

صعود داعش

ظهر:

تنظيم داعش

بوصفه قوة مسلحة توسعت بسرعة كبيرة خلال سنتي 2013 و2014.

وتمكن التنظيم من السيطرة على مساحات واسعة في العراق وسوريا.

وأصبح يشكل تهديداً مباشراً لملايين المدنيين.

شنكال قبل الهجوم

تقع:

شنكال

في غرب كوردستان العراق.

وتعد مركزاً تاريخياً مهماً للمجتمع الإيزيدي.

وقد عاشت المنطقة لعقود طويلة بوصفها موطناً رئيسياً لعشرات الآلاف من الإيزيديين.

الهجوم على شنكال

في آب 2014 تعرضت المنطقة لهجوم واسع من قبل داعش.

وخلال فترة قصيرة انهارت الأوضاع الأمنية.

وأصبحت آلاف العائلات أمام خطر مباشر يهدد حياتها.

النزوح الجماعي

مع تقدم التنظيم فر عشرات الآلاف من المدنيين من:القرى.البلدات.المناطق الريفية.

واتجه كثير منهم نحو:

جبل شنكال

الذي أصبح ملاذاً مؤقتاً للمدنيين الفارين.

المأساة الإنسانية على الجبل

واجه النازحون أوضاعاً إنسانية بالغة الصعوبة.

ومن أبرز التحديات:نقص المياه.نقص الغذاء.ارتفاع درجات الحرارة.غياب الخدمات الطبية.

وأصبحت صور العائلات المحاصرة على الجبل من أكثر الصور انتشاراً في الإعلام العالمي آنذاك.

الجرائم المرتكبة

وثقت منظمات دولية وهيئات حقوقية ارتكاب جرائم واسعة بحق المدنيين الإيزيديين.

وشملت:القتل.الخطف.التهجير القسري.الانتهاكات ضد النساء والأطفال.

وأصبحت هذه الجرائم محوراً لتحقيقات وتقارير دولية لاحقة.

النساء والأطفال

كانت النساء والأطفال من أكثر الفئات تضرراً.

فقد تعرض آلاف الأشخاص للخطف والانفصال عن عائلاتهم.

وأصبحت قضية المختطفين واحدة من أبرز الملفات الإنسانية المرتبطة بكارثة شنكال.

التدخل الإنساني والعسكري

أثارت الأحداث ردود فعل واسعة على المستوى الدولي.

وشهدت المرحلة:عمليات إسقاط مساعدات إنسانية.جهود إنقاذ للمدنيين.تدخلات عسكرية ضد مواقع داعش.حملات دولية لدعم النازحين.

وساهم ذلك في تخفيف جزء من الكارثة الإنسانية.

تحرير شنكال

خلال السنوات التالية جرت عمليات عسكرية متعددة أدت إلى استعادة السيطرة على المنطقة.

لكن آثار الكارثة لم تنتهِ مع انتهاء المعارك.

فقد بقيت تحديات كبيرة تتعلق بإعادة الإعمار وعودة السكان.

الاعتراف الدولي

وصفت جهات دولية عديدة ما تعرض له الإيزيديون بأنه:

الإبادة الجماعية للإيزيديين

وأصبحت القضية موضوعاً لقرارات وتقارير وتحقيقات دولية.

كما ساهمت في زيادة الوعي العالمي بمعاناة المجتمع الإيزيدي.

الأثر على المجتمع الإيزيدي

تركت الكارثة آثاراً عميقة على المجتمع الإيزيدي.

ومن أبرزها:فقدان آلاف الأشخاص.النزوح الواسع.التغيرات الاجتماعية.الآثار النفسية طويلة الأمد.

ولا تزال كثير من العائلات تبحث عن مفقودين حتى اليوم.

شنكال في الذاكرة الكوردية

أصبحت شنكال رمزاً لمعاناة الكورد والإيزيديين في العصر الحديث.

كما أصبحت جزءاً أساسياً من النقاشات المتعلقة:بحقوق الأقليات.حماية المدنيين.منع الإبادة الجماعية.العدالة الانتقالية.

مثلت كارثة شنكال واحدة من أكبر المآسي الإنسانية في تاريخ كوردستان المعاصر. وبين النزوح الجماعي والمفقودين والضحايا تشكلت ذاكرة جديدة من الألم والصمود. وقد أعادت هذه الأحداث تذكير العالم بأن معاناة الشعوب لا تنتهي بانتهاء الحروب السابقة، بل قد تتجدد بأشكال جديدة في كل عصر.

داعش والحرب من أجل البقاء
2014–2017م

وفيه :معارك البيشمركة ضد داعش.تحرير المناطق الكوردية.الدعم الدولي.الخسائر البشرية.أزمة النازحين.دور المرأة الكوردية في الحرب.نهاية سيطرة داعش على معظم المناطق الكوردية.

استفتاء استقلال كوردستان 2017
بين الحلم والواقع

ثم أختم ما ذكرته بفصلين كبيرين:

- الخاتمة التاريخية: أربعة عشر قرناً من العنف والتهجير والمقاومة.
- الذاكرة الكوردية والهوية الوطنية عبر التاريخ.

وهما الفصلان اللذان سيجمعان كل ما مرّ بنا منذ العهد الساساني الكوردي وحتى القرن الحادي والعشرين.

داعش والحرب من أجل البقاء
2014–2017م

بعد سقوط شنكال وتمدّد تنظيم داعش في مساحات واسعة من العراق وسوريا، وجدت كوردستان نفسها أمام أخطر تهديد أمني وعسكري منذ عقود طويلة.

فقد أصبح التنظيم على مقربة من مدن رئيسية، وبدت المنطقة أمام معركة مصيرية تتعلق ليس فقط بالسيطرة على الأرض، بل بمستقبل ملايين المدنيين.

وخلال السنوات الممتدة بين 2014 و2017 خاضت قوات البيشمركة واحدة من أكبر الحروب في تاريخها الحديث.

اتساع خطر داعش

في صيف 2014 تمكن داعش من السيطرة على مناطق واسعة.

وأدى ذلك إلى:انهيار خطوط دفاع في بعض المناطق.نزوح جماعي للسكان.انتشار حالة من القلق والخوف.تهديد مدن وبلدات عديدة.

وأصبحت المواجهة مع التنظيم أولوية قصوى.

إعادة تنظيم الدفاعات

بعد الصدمة الأولى بدأت قوات:

البيشمركة

إعادة تنظيم مواقعها وخطوطها الدفاعية.

وشهدت المرحلة:تعبئة عسكرية واسعة.تعزيز المواقع الدفاعية.مشاركة آلاف المقاتلين.تنسيقاً متزايداً مع القوى الدولية.

معارك كوردستان

دارت معارك عديدة على امتداد الجبهات.

ومن أبرز المناطق التي شهدت قتالاً عنيفاً:شنكال.مخمور.كوير.سهل نينوى.مناطق أخرى في محيط أربيل(هولير).

وكانت هذه المعارك حاسمة في وقف تمدد داعش نحو مناطق جديدة.

الدفاع عن أربيل (هولير)

في بعض مراحل الأزمة اقترب خطر داعش من محيط:

أربيل (هولير)

وأثار ذلك مخاوف كبيرة.

لكن الهجمات المضادة والدعم الدولي ساهما في تثبيت خطوط الدفاع ومنع سقوط المدينة.

الدعم الدولي

شهدت الحرب مشاركة واسعة من التحالف الدولي ضد داعش.

وقد شمل الدعم:الضربات الجوية.التدريب العسكري.الدعم اللوجستي.المساعدات الإنسانية.

وكان لهذا الدعم أثر مهم في تغيير موازين القوى على الأرض.

أزمة النازحين

خلال الحرب استقبل إقليم كوردستان أعداداً كبيرة من:النازحين العراقيين.اللاجئين السوريين.العائلات الفارة من مناطق القتال.

وأصبح الإقليم يواجه تحديات إنسانية واقتصادية ضخمة نتيجة هذه الموجات السكانية.

دور المرأة الكوردية

شهدت الحرب مشاركة بارزة للنساء في مجالات متعددة.

ومنها:العمل الإنساني.الرعاية الصحية.النشاط المدني.بعض الوحدات العسكرية.

وأصبحت صور النساء الكورديات المشاركات في مقاومة داعش معروفة عالمياً.

تحرير شنكال

في أواخر 2015 أُطلقت عمليات عسكرية واسعة أدت إلى استعادة السيطرة على:

شنكال

وشكل هذا الحدث نقطة مهمة في الحرب ضد داعش.

كما سمح بكشف مزيد من الأدلة المتعلقة بالجرائم التي ارتكبت خلال فترة سيطرة التنظيم.

تراجع داعش

خلال السنوات التالية بدأت سيطرة التنظيم تتقلص بصورة متسارعة.

وفقد عدداً كبيراً من مواقعه ومراكزه الرئيسية.

وأصبحت نهايته العسكرية مسألة وقت أكثر من كونها احتمالاً.

نهاية مرحلة الخطر الوجودي

بحلول سنة 2017 كانت معظم المناطق الكوردية قد خرجت من دائرة التهديد المباشر لداعش.

لكن الحرب تركت آثاراً كبيرة شملت:خسائر بشرية.دماراً عمرانياً.أعباء اقتصادية.تحديات اجتماعية طويلة الأمد.

إرث الحرب

أصبحت الحرب ضد داعش جزءاً مهماً من التاريخ الكوردي المعاصر.

فقد اعتبرها كثيرون معركة دفاع عن:الأرض.المجتمع.التعددية الدينية والثقافية.حق المدنيين في الحياة والأمن.

مثلت الحرب ضد داعش واحدة من أصعب مراحل التاريخ الكوردي الحديث. وبين معارك الدفاع عن المدن وأزمات النزوح والكوارث الإنسانية استطاعت كوردستان تجاوز تهديد وجودي خطير. لكن مع انتهاء الحرب برز سؤال جديد: هل حان الوقت لتحقيق الحلم القومي الكوردي الذي طال انتظاره؟

استفتاء استقلال كوردستان
بين الحلم والواقع
2017م

بعد سنوات من الحرب ضد داعش، ومع تصاعد الشعور بأن الكورد قدموا تضحيات كبيرة في الدفاع عن العراق والمنطقة، عاد النقاش حول مستقبل كوردستان إلى الواجهة بقوة.

وفي سنة 2017 شهدت كوردستان حدثاً تاريخياً تمثل في إجراء استفتاء شعبي حول الاستقلال، وهو الحدث الذي أعاد طرح واحدة من أقدم القضايا السياسية في تاريخ الشعب الكوردي الحديث.

الخلفية السياسية

جاء الاستفتاء في ظل عدة عوامل:الخلافات المستمرة مع بغداد.تصاعد الطموحات القومية.الدور الذي لعبته قوات البيشمركة ضد داعش.الرغبة في تحديد مستقبل العلاقة مع الدولة العراقية.

وأصبحت فكرة الاستفتاء تحظى باهتمام واسع داخل المجتمع الكوردي.

إجراء الاستفتاء

في 25 أيلول 2017 أُجري:

استفتاء استقلال كوردستان

في إقليم كوردستان وعدد من المناطق المتنازع عليها.

وشارك فيه ملايين الناخبين.

وأصبح الحدث من أكثر المحطات السياسية أهمية في تاريخ كوردستان المعاصر.

النتائج

أظهرت النتائج الرسمية تأييد أغلبية كبيرة من المشاركين لخيار الاستقلال.

واعتبر كثير من الكورد أن الاستفتاء يمثل تعبيراً سلمياً عن إرادتهم السياسية.

لكن التحديات الحقيقية بدأت بعد إعلان النتائج.

ردود الفعل الإقليمية والدولية

واجه الاستفتاء معارضة من عدة أطراف إقليمية ودولية.

وأعربت دول عديدة عن قلقها من تداعياته على الاستقرار الإقليمي.

كما رفضت الحكومة العراقية النتائج وأكدت تمسكها بوحدة البلاد.

أزمة ما بعد الاستفتاء

شهدت الأشهر التالية توترات سياسية وعسكرية كبيرة.

وأدت التطورات اللاحقة إلى تغيرات مهمة في المشهد السياسي والأمني.

كما دخلت العلاقة بين أربيل وبغداد مرحلة جديدة من التفاوض والخلاف.

بين الحلم والواقع

أعاد الاستفتاء طرح أسئلة أساسية حول:تقرير المصير.مستقبل كوردستان.العلاقة مع الدول المحيطة.التوازن بين الطموح القومي والواقع الجيوسياسي.

وأصبحت هذه الأسئلة محور النقاش السياسي الكوردي حتى اليوم.

الإرث التاريخي للاستفتاء

رغم الجدل حول نتائجه وتداعياته، أصبح استفتاء 2017 محطة تاريخية بارزة.

فقد مثل أول تعبير شعبي واسع النطاق عن قضية الاستقلال في تاريخ كوردستان المعاصر.

كان استفتاء 2017 لحظة تاريخية جمعت بين الأمل والتحدي. وبين الحلم القومي والواقع السياسي المعقد بقيت القضية الكوردية واحدة من أكثر قضايا الشرق الأوسط استمراراً وتأثيراً.

الخاتمة الكبرى
من زاغروس الساسانية إلى شنكال
أربعة عشر قرناً من العنف والتهجير والمقاومة

وهنا سأقوم بجمع الخيوط كلها منذ بداية الكتاب وحتى العصر الحديث، وتحليل الأنماط المتكررة من الحروب والتقسيمات والتهجير والمقاومة في التاريخ الكوردي.

من زاغروس الساسانية إلى شنكال
أربعة عشر قرناً من العنف والتهجير والمقاومة

عندما ننظر إلى تاريخ الشعب الكوردي عبر القرون لا نجد سلسلة متصلة من الهزائم فقط، ولا سلسلة متصلة من الانتصارات فقط، بل نجد تاريخاً طويلاً من البقاء.

فقد تعاقبت على كوردستان إمبراطوريات ودول وجيوش وحروب وغزوات لا حصر لها، ومع ذلك بقي الشعب الكوردي حاضراً فوق أرضه التاريخية من جبال زاغروس إلى جبال طوروس ومن سهول شهرزور إلى أعالي الفرات.

إن السؤال الحقيقي الذي يطرحه هذا الكتاب ليس:

كم مرة تعرض الكورد للعنف؟

بل:

كيف استطاعوا البقاء رغم كل ذلك؟

الجغرافيا والقدر التاريخي

كانت كوردستان عبر التاريخ تقع في قلب الشرق الأوسط.

وهذا الموقع منحها ميزات كبيرة، لكنه جعلها أيضاً ساحة دائمة للصراع.

فقد وجدت نفسها بين:الرومان والفرس.العثمانيين والصفويين.روسيا والدولة العثمانية.العراق وإيران.القوى الدولية والإقليمية الحديثة.

ولهذا تحولت كوردستان مراراً إلى ميدان للحروب التي لم يكن الكورد دائماً طرفاً رئيسياً فيها.

تكرار نمط العنف

عند دراسة الأحداث الممتدة من العهد الساساني حتى القرن الحادي والعشرين نلاحظ نمطاً متكرراً:

حرب.

ثم نزوح.

ثم إعادة بناء.

ثم حرب جديدة.

وهكذا تتكرر الدورة عبر القرون.

من الغزو المغولي إلى حملات تيمورلنك.

ومن الحروب العثمانية الصفوية إلى انهيار الإمارات الكوردية.

ومن الأنفال إلى شنكال.

يتكرر المشهد بأسماء مختلفة وأزمنة مختلفة.

التهجير بوصفه سلاحاً

لم يكن القتل وحده الأداة المستخدمة ضد المجتمعات الكوردية.

ففي كثير من المراحل كان التهجير وسيلة لا تقل خطورة.

فقد شهدت كوردستان:نقل السكان.تفريغ القرى.إعادة التوطين.تفكيك المجتمعات المحلية.

وهي سياسات تركت آثاراً استمرت لأجيال طويلة.

الذاكرة الجماعية

تحولت أسماء كثيرة إلى رموز في الوعي
الكوردي:جالديران.ديرسم.مهاباد.الأنفال.حلبجة.شنكال.

وأصبحت هذه الأسماء أكثر من مجرد أحداث تاريخية.

لقد تحولت إلى ذاكرة جماعية تنتقل من جيل إلى جيل.

المقاومة بوصفها ظاهرة تاريخية

إذا كان العنف أحد العناصر المتكررة في التاريخ الكوردي، فإن المقاومة كانت العنصر المقابل له.

ففي كل مرحلة تقريباً ظهرت أشكال مختلفة من
المقاومة:الإمارات.الثورات.الحركات السياسية.النشاط الثقافي.الدفاع عن اللغة والهوية.

ولذلك فإن تاريخ الكورد لا يمكن اختزاله في دور الضحية فقط.

بل هو أيضاً تاريخ صمود واستمرار.

الهوية الكوردية عبر الزمن

لم تتشكل الهوية الكوردية في يوم واحد.

بل تكونت عبر قرون طويلة من التفاعل بين:الجغرافيا.اللغة.الذاكرة.التجارب المشتركة.

ولهذا بقي الانتماء الكوردي حياً رغم تغير الدول والحدود والأنظمة السياسية.

الدرس الأكبر

ربما يكون الدرس الأهم في هذا الكتاب أن الشعوب لا تُقاس بعدد الانتصارات العسكرية فقط.

بل تُقاس أيضاً بقدرتها على البقاء.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن الشعب الكوردي، رغم ما تعرض له من حروب وتهجير ومجازر، استطاع أن يحافظ على وجوده وهويته عبر أكثر من أربعة عشر قرناً من التحولات الكبرى.

من الماضي إلى المستقبل

إن دراسة الماضي ليست دعوة للعيش فيه.

بل محاولة لفهم الحاضر وبناء المستقبل.

فمعرفة المآسي لا تهدف إلى إعادة إنتاج الكراهية، بل إلى منع تكرارها.

ومعرفة تاريخ التهجير لا تهدف إلى تأجيج الصراعات، بل إلى فهم آثارها الإنسانية والسياسية.

كلمة أخيرة

من زاغروس الساسانية إلى شنكال.

ومن القادسية إلى حلبجة.

ومن سقوط الإمارات إلى استفتاء 2017.

يمتد تاريخ طويل من الألم والأمل معاً.

وقد حاول هذا الكتاب أن يوثق جانباً من تلك الرحلة الطويلة.

رحلة شعب لم يكن تاريخه سهلاً.

لكنه بقي حاضراً في أرضه وذاكرته وثقافته رغم كل ما مر به من محن.

وأود أن أسرد لكم ماذا حصل في كوردستان الحمراء:
أول كيان إداري كوردي في الاتحاد السوفيتي
1923–1929م

عندما يُذكر تاريخ القضية الكوردية في القرن العشرين يتجه اهتمام معظم الباحثين إلى ثورات كوردستان الجنوبية أو إلى جمهورية مهاباد أو إلى الأحداث التي وقعت في تركيا والعراق وإيران.

لكن هناك تجربة أخرى مهمة كثيراً ما تُهمَل في الكتابات التاريخية، وهي تجربة كوردستان الحمراء.

وقد كانت هذه التجربة أول كيان إداري كوردي معترف به رسمياً في إطار دولة حديثة خلال القرن العشرين، قبل جمهورية مهاباد بثلاثة وعشرين عاماً.

ولهذا تستحق مكانة خاصة في تاريخ الشعب الكوردي.

الكورد في القوقاز

لم يكن الوجود الكوردي محصوراً في كوردستان التقليدية فقط.

فمنذ قرون طويلة عاشت جماعات كوردية
في:القوقاز.أرمينيا.أذربيجان.جورجيا.المناطق الواقعة بين الأناضول والقوقاز.

وكانت هذه الجماعات جزءاً من النسيج السكاني للمنطقة قبل قيام الاتحاد السوفيتي.

الثورة البلشفية

بعد:

الثورة الروسية

ظهرت دولة جديدة هي:

الاتحاد السوفيتي

التي تبنت سياسة مختلفة تجاه القوميات والشعوب.

وفي سنواتها الأولى حاولت السلطة السوفيتية منح عدد من القوميات أشكالاً مختلفة من الإدارة المحلية والثقافية.

تأسيس كوردستان الحمراء

في سنة 1923 أُنشئت منطقة إدارية عُرفت باسم:

كوردستان الحمراء

داخل جمهورية أذربيجان السوفيتية.

وكان الهدف المعلن هو تنظيم المناطق ذات الأغلبية الكوردية ضمن إطار إداري خاص.

وقد اعتبر كثير من الباحثين هذه الخطوة حدثاً غير مسبوق في التاريخ الكوردي الحديث.

العاصمة

كانت مدينة:

لاجين

المركز الإداري الرئيسي لكوردستان الحمراء.

وأصبحت المدينة رمزاً للتجربة الكوردية السوفيتية خلال عشرينيات القرن العشرين.

المساحة والسكان

ضمت المنطقة عدداً من الأقضية والقرى التي كانت تضم كثافة سكانية كوردية ملحوظة.

وعاش فيها:الكورد المسلمون.جماعات محلية أخرى.سكان مرتبطون تاريخياً ببيئة القوقاز.

وكانت المنطقة تمثل جسراً جغرافياً بين أرمينيا وأذربيجان.

اللغة والثقافة

شهدت سنوات كوردستان الحمراء نشاطاً ثقافياً مهماً.

فقد ظهرت محاولات لتطوير:التعليم بالكوردية.النشر الثقافي.النشاط الأدبي.الدراسات اللغوية.

وكان ذلك جزءاً من السياسة السوفيتية تجاه القوميات في تلك المرحلة.

الحياة السياسية

لم تكن كوردستان الحمراء دولة مستقلة.

بل كانت وحدة إدارية ضمن النظام السوفيتي.

ومع ذلك فإن مجرد الاعتراف بوجود منطقة تحمل اسماً كوردياً كان حدثاً مهماً في الوعي السياسي الكوردي.

نهاية التجربة

في سنة 1929 أُلغي الكيان الإداري.

وتوقفت تجربة كوردستان الحمراء رسمياً.

وكانت أسباب الإلغاء مرتبطة بتغير السياسات السوفيتية والتطورات السياسية في القوقاز.

وبذلك انتهت أول تجربة إدارية كوردية معترف بها في القرن العشرين.

الأثر التاريخي

رغم قصر عمرها بقيت كوردستان الحمراء حاضرة في الذاكرة الكوردية.

لأنها أثبتت أن الهوية الكوردية وصلت حتى القوقاز، وأن الكورد كانوا جزءاً من التحولات السياسية الكبرى في الاتحاد السوفيتي.

بين كوردستان الحمراء ومهاباد

عندما قامت جمهورية مهاباد سنة 1946 كانت تجربة كوردستان الحمراء قد أصبحت جزءاً من الماضي.

لكن التجربتين تشتركان في نقطة مهمة:

وهي أن كلتيهما مثلتا محاولة لإعطاء الكورد إطاراً سياسياً وإدارياً معترفاً به خلال القرن العشرين.

إرث التجربة

أصبحت كوردستان الحمراء جزءاً من تاريخ الكورد في الشتات القوقازي.

كما أصبحت مثالاً على العلاقة المعقدة بين القومية الكوردية والسياسات السوفيتية تجاه الشعوب غير الروسية.

رغم أن كوردستان الحمراء لم تستمر سوى سنوات قليلة، فإنها احتلت مكانة فريدة في التاريخ الكوردي الحديث. فقد كانت أول كيان إداري يحمل الاسم الكوردي بصورة رسمية في القرن العشرين، وفتحت صفحة جديدة من تاريخ الكورد في القوقاز والاتحاد السوفيتي. غير أن نهاية هذه التجربة لم تكن نهاية معاناة الكورد في تلك المناطق، بل كانت بداية مرحلة أكثر قسوة ستأتي مع حملات الترحيل السوفيتية في العقود اللاحقة.

ترحيل كورد القوقاز وآسيا الوسطى
1937–1944م

وفيه :سياسة الترحيل السوفيتية.كورد أرمينيا وأذربيجان وجورجيا.التهجير إلى كازاخستان.التهجير إلى أوزبكستان.ظروف الرحلة.الخسائر الإنسانية.الحياة في المنفى.أثر الترحيل على الهوية الكوردية.

ترحيل كورد القوقاز وآسيا الوسطى
الكورد في المنفى السوفيتي
1937–1944م

إذا كانت كوردستان الحمراء تمثل واحدة من اللحظات المضيئة في تاريخ الكورد داخل الاتحاد السوفيتي، فإن السنوات اللاحقة حملت تطورات مختلفة تماماً.

فمع صعود:

جوزيف ستالين

وتزايد السياسات الأمنية الصارمة، دخلت شعوب عديدة في الاتحاد السوفيتي مرحلة من الترحيل القسري وإعادة التوطين الجماعي.

وكان الكورد من بين الشعوب التي تأثرت بهذه السياسات بدرجات مختلفة.

التحولات السوفيتية

خلال عشرينيات القرن العشرين تبنت الدولة السوفيتية سياسة تشجع الهويات القومية المحلية.

لكن مع الثلاثينيات بدأت الأولويات تتغير.

وأصبحت الاعتبارات الأمنية والسياسية تتقدم على سياسات الحكم الذاتي الثقافي.

وأدى ذلك إلى إعادة النظر في أوضاع عدد من القوميات.

كورد القوقاز

عاش الكورد في:أرمينيا.أذربيجان.جورجيا.

منذ قرون طويلة.

وكان كثير منهم يعملون في:الزراعة.الرعي.التجارة المحلية.

كما حافظوا على لغتهم وعاداتهم الاجتماعية رغم التحولات السياسية المتلاحقة.

بداية الترحيل

في أواخر الثلاثينيات بدأت عمليات نقل جماعات سكانية من مناطق القوقاز إلى مناطق أخرى داخل الاتحاد السوفيتي.

وبررت السلطات هذه الإجراءات بأسباب أمنية وإدارية مختلفة.

وكان الكورد ضمن المجموعات التي تأثرت بهذه السياسات.

الحرب العالمية الثانية

مع اندلاع:

الحرب العالمية الثانية

ازدادت المخاوف الأمنية لدى السلطات السوفيتية.

وأصبحت المناطق الحدودية موضع رقابة مشددة.

كما توسعت سياسات النقل والترحيل بحق عدد من القوميات.

الرحلة إلى آسيا الوسطى

نُقلت مجموعات من الكورد إلى مناطق بعيدة عن موطنها الأصلي.

ومن أبرز الوجهات:كازاخستان.أوزبكستان.قرغيزستان.جمهوريات أخرى في آسيا الوسطى.

وكانت الرحلات تتم غالباً في ظروف صعبة للغاية.

المعاناة الإنسانية

واجه المرحّلون مشكلات عديدة:طول المسافات.نقص الغذاء.الأمراض.البرد والحرارة القاسية.الانفصال عن الأهل والأقارب.

وقد فقدت بعض العائلات أفراداً خلال مراحل الترحيل أو في السنوات الأولى من الاستقرار القسري.

الحياة في المنفى

بعد الوصول إلى آسيا الوسطى اضطر الكورد إلى بناء حياة جديدة في بيئات مختلفة تماماً عن القوقاز وكوردستان.

وعمل كثير منهم في:الزراعة.المشاريع الحكومية.الأعمال اليدوية.

ورغم الصعوبات حافظوا على جزء مهم من هويتهم الثقافية.

اللغة والهوية

أحد أكبر التحديات التي واجهت الكورد في المنفى كان الحفاظ على:اللغة الكوردية.التقاليد الاجتماعية.الذاكرة التاريخية.

ورغم الضغوط والبعد الجغرافي استمرت هذه العناصر في الانتقال بين الأجيال.

ما بعد ستالين

بعد وفاة ستالين سنة 1953 شهد الاتحاد السوفيتي تغيرات سياسية مهمة.

وأصبحت بعض القيود أقل شدة من السابق.

لكن كثيراً من العائلات الكوردية لم تتمكن من العودة بسهولة إلى مناطقها الأصلية.

وبقيت جاليات كوردية كبيرة في آسيا الوسطى لعقود طويلة.

أثر الترحيل على المجتمع الكوردي

أدى الترحيل إلى:

تفكك مجتمعات محلية قديمة.

تغيير البنية السكانية في بعض المناطق.

ظهور جاليات كوردية جديدة خارج المجال التاريخي التقليدي لكوردستان.

كما ساهم في تكوين ذاكرة جماعية مختلفة لدى كورد القوقاز وآسيا الوسطى.

الكورد السوفييت في التاريخ الكوردي

كثير من الكتب التي تتناول تاريخ كوردستان تركز على العراق وتركيا وإيران.

لكن تجربة كورد الاتحاد السوفيتي تمثل جزءاً مهماً من التاريخ الكوردي الحديث.

فهي تكشف كيف واجه الكورد تحديات الهوية والتهجير حتى خارج حدود كوردستان التقليدية.

منفى طويل وذاكرة باقية

رغم مرور عقود على الترحيل بقيت قصص المنفى حاضرة في ذاكرة آلاف العائلات.

وأصبحت جزءاً من التاريخ الشفهي للكورد في:

كازاخستان.

أوزبكستان.

قرغيزستان.

روسيا.

القوقاز.

شكلت عمليات الترحيل السوفيتية واحدة من أكثر التجارب قسوة في تاريخ كورد القوقاز خلال القرن العشرين. فقد انتقل آلاف الأشخاص قسراً من موطنهم التاريخي إلى مناطق بعيدة، واضطروا إلى إعادة بناء حياتهم في ظروف صعبة. ومع ذلك استطاع كثير منهم الحفاظ على لغتهم وذاكرتهم وهويتهم، لتبقى قصة الكورد السوفييت جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الكوردي الحديث.

الحركة الكوردية في سوريا
من الانتداب إلى الإدارة الذاتية
1920–2025م

يُعد كورد سوريا جزءاً أساسياً من الشعب الكوردي، وقد تشكل واقعهم السياسي الحديث نتيجة التحولات التي أعقبت الحرب العالمية الأولى وتقسيم المشرق العربي.

ومع رسم الحدود الجديدة بين تركيا وسوريا والعراق، أصبحت مناطق كوردية واسعة ضمن الدولة السورية الناشئة.

ومنذ ذلك الوقت دخل كورد سوريا مساراً تاريخياً خاصاً تميز بتحديات سياسية واجتماعية وثقافية مختلفة عن تلك التي واجهها الكورد في العراق أو تركيا أو إيران.

كورد سوريا بعد لوزان

بعد:

معاهدة لوزان

استقرت الحدود الجديدة بين تركيا وسوريا.

وأدى ذلك إلى وجود تجمعات كوردية كبيرة داخل الأراضي السورية.

ومن أبرز المناطق الكوردية:

الجزيرة العليا.

كوباني.

عفرين.

مناطق أخرى في شمال سوريا.

وأصبحت هذه المناطق جزءاً من الدولة السورية التي كانت خاضعة للانتداب الفرنسي.

فترة الانتداب الفرنسي

خلال فترة الانتداب شهدت المناطق الكوردية أوضاعاً متباينة.

فقد سمحت بعض الظروف بظهور نشاط ثقافي وسياسي محدود.

كما استقبلت سوريا عدداً من اللاجئين الكورد القادمين من تركيا بعد ثورات العشرينيات والثلاثينيات.

وساهم هؤلاء في تنشيط الحياة الثقافية والفكرية الكوردية.

الاستقلال السوري

بعد استقلال سوريا سنة 1946 دخل الكورد مرحلة جديدة.

فقد أصبحوا جزءاً من الدولة السورية المستقلة.

وشارك كثير منهم في:

الحياة الاقتصادية.

الجيش.

الإدارة.

النشاط الثقافي.

لكن المطالب المتعلقة بالهوية والحقوق الثقافية بقيت قائمة.

الإحصاء الاستثنائي 1962

يعد الإحصاء الاستثنائي الذي أُجري في محافظة الحسكة سنة 1962 من أكثر الأحداث تأثيراً في تاريخ كورد سوريا الحديث.

فقد أدى إلى حرمان عدد كبير من الكورد من الجنسية السورية.

ونشأت فئات عُرفت لاحقاً باسم:

الأجانب.

المكتومين.

وأصبح هذا الملف من أكثر القضايا حساسية في الحياة السياسية الكوردية السورية.

مشروع الحزام العربي

في العقود اللاحقة طُرحت سياسات هدفت إلى إعادة تنظيم بعض المناطق الحدودية.

ومن أكثرها شهرة ما عُرف باسم:

الحزام العربي

الذي أثار جدلاً واسعاً بسبب تأثيره على البنية السكانية والزراعية في أجزاء من الجزيرة السورية.

وأصبح من الملفات المركزية في الخطاب السياسي الكوردي السوري.

الحركة السياسية الكوردية

شهدت النصف الثاني من القرن العشرين تأسيس عدد كبير من الأحزاب والتنظيمات الكوردية.

ورغم الانقسامات السياسية، اتفقت معظم هذه الأحزاب على المطالبة بـ:

الاعتراف بالهوية الكوردية.

الحقوق الثقافية.

إنهاء مشكلات الجنسية.

تحسين المشاركة السياسية.

أحداث قامشلو 2004

في آذار 2004 شهدت:

القامشلي

أحداثاً مهمة شكلت نقطة تحول في تاريخ الحركة الكوردية السورية.

وأدت المواجهات التي وقعت آنذاك إلى سقوط ضحايا واعتقالات واسعة.

كما ساهمت في رفع مستوى الوعي السياسي بين قطاعات واسعة من الشباب الكوردي.

الثورة السورية

مع اندلاع الاحتجاجات السورية سنة 2011 دخلت البلاد مرحلة جديدة من الصراع.

وأصبحت المناطق الكوردية جزءاً من المشهد السوري المتغير بسرعة.

ومع تطور الأحداث ظهرت ترتيبات إدارية وأمنية جديدة في شمال سوريا.

الإدارة الذاتية

ابتداءً من عام 2012 بدأت تتشكل مؤسسات محلية في عدد من المناطق الكوردية.

وتطورت لاحقاً إلى ما عُرف باسم:

الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا

التي أصبحت تدير أجزاء واسعة من شمال وشرق سوريا.

الحرب ضد داعش

لعبت القوات الكوردية دوراً بارزاً في الحرب ضد داعش.

وشهدت مناطق عديدة معارك مهمة.

ومن أبرز المحطات:

كوباني

التي أصبحت رمزاً للمقاومة ضد التنظيم خلال سنوات الحرب.

التحديات الإنسانية

أدت الحرب السورية إلى:

نزوح واسع.

تدمير البنية التحتية.

أزمات اقتصادية.

تحديات اجتماعية كبيرة.

وتحملت المناطق الكوردية جزءاً مهماً من هذه الأعباء.

الواقع المعاصر

بحلول عام 2025 لا تزال مناطق شمال وشرق سوريا تواجه تحديات معقدة تشمل:

الوضع السياسي.

العلاقات الإقليمية.

الملف الأمني.

إعادة الإعمار.

عودة النازحين.

ومع ذلك أصبحت التجربة الكوردية السورية إحدى أهم التجارب السياسية الكوردية في العصر الحديث.

الأثر التاريخي

تمثل تجربة كورد سوريا مثالاً على قدرة المجتمعات الكوردية على التكيف مع التحولات الكبرى.

فقد انتقلت من مرحلة المطالبة بالاعتراف والحقوق الأساسية إلى إدارة مؤسسات واسعة خلال فترة زمنية قصيرة نسبياً.

وأصبحت جزءاً مهماً من التاريخ السياسي الكوردي المعاصر.

مرّ كورد سوريا خلال القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين بتحولات عميقة، بدأت مع رسم الحدود الحديثة بعد لوزان، ومرت بالإحصاء الاستثنائي والحزام العربي وأحداث قامشلو، وصولاً إلى الإدارة الذاتية والحرب ضد

داعش. وقد جعلت هذه التطورات من التجربة الكوردية السورية إحدى أكثر التجارب السياسية تأثيراً في تاريخ الكورد الحديث.

الكورد في إيران بعد مهاباد
من الإعدام إلى المقاومة السياسية
1947–2025م

وفيه :

ما بعد إعدام قاضي محمد.

مصير أنصار مهاباد.

الحركة الكوردية في عهد الشاه.

ثورة 1979.

الصراع مع الجمهورية الإسلامية.

الأحزاب الكوردية الإيرانية.

الواقع المعاصر في شرق كوردستان.

الكورد في إيران بعد مهاباد
من الإعدام إلى المقاومة السياسية
1947–2025م

شكّل سقوط جمهورية مهاباد سنة 1946 وإعدام قاضي محمد سنة 1947 نقطة تحول كبرى في تاريخ الكورد في إيران. فقد انتهت أول تجربة سياسية كوردية حديثة في القرن العشرين، لكن الأفكار التي ولّدتها لم تنتهِ بسقوط الجمهورية.

ومنذ ذلك الحين دخل الكورد في إيران مرحلة طويلة من النشاط السياسي والصراع والتكيف مع التحولات التي شهدتها البلاد خلال العقود اللاحقة.

ما بعد سقوط مهاباد

بعد دخول القوات الإيرانية إلى مهاباد تعرضت الحركة الكوردية لانتكاسة كبيرة.

فقد:

أُعدم عدد من القيادات.

تعرض ناشطون للملاحقة.

حُلّت المؤسسات التي أنشأتها الجمهورية.

تراجعت الأنشطة السياسية العلنية.

لكن ذكرى مهاباد بقيت حاضرة بقوة في الوعي السياسي الكوردي.

إعدام قاضي محمد

في سنة 1947 أُعدم:

قاضي محمد

في ساحة بمدينة:

مهاباد

وأصبح هذا الحدث من أكثر الوقائع رمزية في التاريخ الكوردي الحديث.

كما تحوّل قاضي محمد إلى رمز سياسي لدى أجيال متعددة من الكورد.

مرحلة الشاه

خلال عهد:

محمد رضا بهلوي

شهدت المناطق الكوردية فترات من الهدوء النسبي وأخرى من التوتر.

وسعت الدولة إلى تعزيز سلطتها المركزية في مختلف أنحاء البلاد.

وفي الوقت نفسه استمرت بعض الأنشطة السياسية والثقافية الكوردية بدرجات متفاوتة.

الأحزاب الكوردية

رغم الضغوط السياسية استمرت أحزاب وتنظيمات كوردية في العمل.

ومن أبرزها:

الحزب الديمقراطي الكوردستاني الإيراني

الذي حافظ على حضوره السياسي رغم التحديات الكبيرة.

الثورة الإيرانية 1979

في سنة 1979 سقط نظام الشاه وقامت:

الثورة الإيرانية

واستقبل كثير من الكورد هذه التحولات بأمل الحصول على مساحة أكبر من الحقوق السياسية والثقافية.

لكن الخلافات سرعان ما ظهرت بين القوى الكوردية والسلطات الجديدة.

المواجهات بعد الثورة

شهدت السنوات الأولى بعد الثورة مواجهات وصدامات في عدد من المناطق الكوردية.

وأدت هذه الأحداث إلى:

خسائر بشرية.

اضطرابات أمنية.

نزوح محلي في بعض المناطق.

توتر مستمر بين الأطراف المختلفة.

الثمانينيات والحرب العراقية الإيرانية

خلال الحرب العراقية الإيرانية أصبحت المناطق الكوردية في غرب إيران جزءاً من المشهد الأمني والعسكري المعقد.

وأثرت الحرب بصورة مباشرة وغير مباشرة على حياة السكان المحليين.

كما واجهت الأحزاب الكوردية تحديات إضافية خلال هذه المرحلة.

الحياة الثقافية

رغم الظروف السياسية الصعبة استمرت الأنشطة الثقافية الكوردية.

وشملت:

الأدب.

الشعر.

الموسيقى.

الصحافة.

التعليم غير الرسمي.

وكانت الثقافة إحدى الوسائل الأساسية للحفاظ على الهوية الكوردية.

التحولات بعد التسعينيات

شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين تغيرات مهمة.

فقد ظهرت أجيال جديدة من المثقفين والناشطين.

كما توسعت وسائل الاتصال والإعلام، مما ساهم في زيادة التواصل بين الكورد في مختلف أجزاء كوردستان.

الواقع المعاصر

بحلول عام 2025 لا تزال المناطق الكوردية في إيران تواجه تحديات سياسية واقتصادية واجتماعية متعددة.

ومن أبرز القضايا المطروحة:

التنمية الاقتصادية.

الحقوق الثقافية.

المشاركة السياسية.

العلاقة مع السلطة المركزية.

وتبقى هذه الملفات محوراً مهماً في النقاشات السياسية المعاصرة.

مهاباد في الذاكرة

رغم مرور ما يقارب ثمانية عقود على سقوط الجمهورية، ما زالت مهاباد تحتل مكانة خاصة في الوجدان الكوردي.

فهي تمثل:

رمزاً سياسياً.

تجربة تاريخية فريدة.

نقطة انطلاق لكثير من الأفكار والحركات اللاحقة.

شرق كوردستان في التاريخ الكوردي

لا يمكن فهم التاريخ الكوردي الحديث دون دراسة تجربة الكورد في إيران.

فمن مهاباد إلى الحركات السياسية المعاصرة، لعبت هذه المنطقة دوراً مهماً في تشكيل الفكر السياسي الكوردي خلال القرن العشرين والحادي والعشرين.

مرّ الكورد في إيران بمسار طويل بدأ بسقوط جمهورية مهاباد وإعدام قاضي محمد، ثم امتد عبر عهد الشاه والثورة الإيرانية والحركات السياسية الحديثة.
ورغم التحديات المستمرة، بقيت الهوية الكوردية حاضرة بقوة، وأصبحت تجربة شرق كوردستان جزءاً أساسياً من التاريخ الكوردي المعاصر.

المرأة الكوردية عبر التاريخ
من زاغروس إلى شنكال

وفيه :

مكانة المرأة في المجتمع الكوردي التقليدي.

الأميرات والحاكمات الكورديات.

المرأة في الثورات الكوردية.

المرأة في مهاباد.

المرأة والأنفال.

المرأة في شنكال.

دور المرأة في الحياة السياسية المعاصرة.

المرأة بوصفها رمزاً للصمود والبقاء.

المرأة الكوردية عبر التاريخ
من زاغروس إلى شنكال

عند دراسة التاريخ الكوردي غالباً ما تتركز الأنظار على الملوك والأمراء والقادة العسكريين والثورات والحروب. لكن خلف هذه الأحداث الكبرى كانت المرأة الكوردية حاضرة بصورة مستمرة، تؤثر وتتأثر وتشارك في صناعة التاريخ بطرق متعددة.

ومن زاغروس القديمة إلى شنكال المعاصرة، لعبت المرأة الكوردية أدواراً اجتماعية وثقافية وسياسية وعسكرية تركت بصمتها في الذاكرة الجماعية للشعب الكوردي.

المرأة في المجتمع الكوردي التقليدي

عاشت المرأة الكوردية ضمن بيئة جبلية وقروية اعتمدت على:

الزراعة.

الرعي.

الاقتصاد الأسري.

التعاون المجتمعي.

ولهذا شاركت بصورة مباشرة في العمل والإنتاج والحياة اليومية.

وكان حضورها الاقتصادي أكثر وضوحاً مما كان عليه في بعض المجتمعات المجاورة.

الأميرات والحاكمات

شهد التاريخ الكوردي ظهور عدد من النساء اللواتي لعبن أدواراً سياسية مهمة.

ففي فترات مختلفة تولت بعض الأميرات إدارة شؤون إمارات أو مدن أو أسر حاكمة.

ورغم أن السلطة السياسية بقيت في معظم الأحيان بيد الرجال، فإن النساء لعبن أدواراً مؤثرة في إدارة الحكم والتحالفات والعلاقات الاجتماعية.

المرأة في الأدب الكوردي

حافظ التراث الكوردي على حضور واسع للمرأة في:

الشعر.

الأغاني الشعبية.

الملاحم.

القصص الشفوية.

وغالباً ما ظهرت المرأة رمزاً:

للحب.

للصبر.

للوطن.

للوفاء.

وأصبحت جزءاً أساسياً من الذاكرة الثقافية الكوردية.

المرأة والثورات الكوردية

مع تطور الحركة القومية الكوردية بدأت النساء يشاركن بصورة أكبر في النشاط العام.

وخلال الثورات والانتفاضات المختلفة قامت النساء بأدوار متعددة:

الدعم اللوجستي.

الرعاية الطبية.

التعليم.

النشاط السياسي.

العمل الاجتماعي.

وأصبحن جزءاً من النضال الكوردي الحديث.

المرأة في جمهورية مهاباد

رغم قصر عمر:

جمهورية مهاباد

فإنها شهدت بداية ظهور نشاط نسائي أكثر وضوحاً في الحياة العامة.

وأصبحت تجربة مهاباد مرجعاً مهماً للنقاشات المتعلقة بمكانة المرأة في المجتمع الكوردي الحديث.

المرأة والأنفال

كانت النساء من أكثر الفئات تضرراً خلال:

حملات الأنفال

فقد فقدت آلاف النساء:

الأزواج.

الآباء.

الأبناء.

الإخوة.

كما تحملن مسؤوليات اجتماعية واقتصادية ضخمة بعد اختفاء أعداد كبيرة من الرجال.

وأصبحن رمزاً للصمود في مواجهة واحدة من أكبر الكوارث في التاريخ الكوردي المعاصر.

المرأة في حلبجة

بعد كارثة حلبجة وجدت آلاف النساء أنفسهن في مواجهة آثار إنسانية وصحية ونفسية طويلة الأمد.

كما لعبن دوراً أساسياً في حفظ ذاكرة المدينة ونقل شهادات الناجين إلى الأجيال اللاحقة.

المرأة في شنكال

تمثل مأساة شنكال واحدة من أكثر الفصول إيلاماً في تاريخ المرأة الكوردية الحديث.

فقد تعرضت آلاف النساء الإيزيديات للخطف والانتهاكات خلال هجوم داعش سنة 2014.

وأصبحت معاناتهن رمزاً عالمياً لمعاناة النساء في مناطق النزاعات المسلحة.

وفي الوقت نفسه تحولت قصص الناجيات إلى شهادات إنسانية مهمة وثقتها المؤسسات الدولية ووسائل الإعلام العالمية.

المرأة المقاتلة

شهدت العقود الأخيرة مشاركة نسائية بارزة في بعض التشكيلات العسكرية الكوردية.

وأصبحت صور المقاتلات الكورديات معروفة على المستوى الدولي خلال الحرب ضد داعش.

وأثارت هذه الظاهرة اهتماماً واسعاً في الإعلام والدراسات الأكاديمية.

المرأة في الحياة السياسية

مع تطور المؤسسات السياسية في أجزاء مختلفة من كوردستان ازدادت مشاركة النساء في:

البرلمانات.

الأحزاب السياسية.

الحكومات المحلية.

منظمات المجتمع المدني.

وأصبحت المرأة جزءاً أساسياً من المشهد السياسي المعاصر.

التعليم والتغيير الاجتماعي

ساهم انتشار التعليم والجامعات ووسائل الإعلام الحديثة في توسيع دور المرأة الكوردية.

وأصبحت النساء حاضرات في:

الطب.

الهندسة.

القانون.

التعليم.

الإعلام.

البحث العلمي.

مما أدى إلى تغيرات اجتماعية كبيرة خلال العقود الأخيرة.

المرأة بوصفها رمزاً للبقاء

إذا كان تاريخ الشعب الكوردي مليئاً بالحروب والنزوح والمجازر، فإن المرأة الكوردية كانت في قلب هذه التجارب.

فهي التي:

حافظت على الأسرة.

نقلت اللغة إلى الأبناء.

حفظت الأغاني والحكايات.

استمرت في الحياة رغم الفقدان والمعاناة.

ولهذا أصبحت رمزاً للبقاء والاستمرار عبر الأجيال.

تمثل المرأة الكوردية أحد الأعمدة الأساسية في التاريخ الكوردي. فمن القرى الجبلية القديمة إلى المدن الحديثة، ومن مهاباد إلى شنكال، لعبت النساء أدواراً متنوعة في بناء المجتمع والحفاظ على الهوية ومواجهة المحن. ولذلك فإن تاريخ الكورد لا يمكن فهمه بصورة كاملة من دون دراسة الدور الذي لعبته المرأة في مسيرة هذا الشعب عبر القرون.

الهوية الكوردية واللغة والذاكرة الجماعية
كيف بقي الشعب الكوردي شعباً عبر أربعة عشر قرناً؟

إذا كان هذا الكتاب قد استعرض الحروب والثورات والتهجير والمجازر التي مر بها الشعب الكوردي عبر قرون طويلة، فإن السؤال الأهم يبقى:

كيف استطاع الكورد البقاء؟

فقد اختفت شعوب كثيرة من صفحات التاريخ، واندمجت شعوب أخرى في كيانات أكبر، بينما حافظ الكورد على وجودهم وهويتهم رغم تعاقب الإمبراطوريات والدول والحدود والحروب.

إن هذا الفصل لا يبحث في المعارك والجيوش، بل في العناصر العميقة التي حافظت على استمرار الشعب الكوردي عبر الزمن.

الجغرافيا وصناعة الهوية

كانت جبال كوردستان أكثر من مجرد تضاريس طبيعية.

فقد شكلت عبر التاريخ:

ملاذاً للسكان.

مركزاً للاستقرار.

حاجزاً طبيعياً أمام الغزوات.

فضاءً حافظ على الخصوصيات المحلية.

ولهذا ارتبطت الهوية الكوردية ارتباطاً وثيقاً بالجغرافيا الجبلية.

ومن زاغروس إلى طوروس بقيت الجبال عنصراً ثابتاً في الذاكرة الكوردية.

اللغة بوصفها وعاء الذاكرة

كانت اللغة الكوردية أحد أهم عوامل البقاء.

فعلى الرغم من اختلاف اللهجات وتعدد المراكز السياسية، بقيت اللغة أداة لنقل:

الثقافة.

التراث.

الأغاني.

الأمثال.

الذاكرة التاريخية.

ولذلك لعبت اللغة دوراً يتجاوز التواصل اليومي إلى حفظ الهوية نفسها.

تنوع اللهجات ووحدة الانتماء

يتحدث الكورد بعدة لهجات رئيسية، منها:

الكرمانجية.

السورانية.

الهورامية.

الزازاكية.

ورغم هذا التنوع ظل الشعور بالانتماء الكوردي حاضراً بدرجات مختلفة بين هذه المجتمعات.

وأصبحت اللهجات المختلفة جزءاً من ثراء الثقافة الكوردية لا سبباً لإلغائها.

الذاكرة الشفوية

قبل انتشار الطباعة والتعليم الحديث كانت الذاكرة الشفوية الوسيلة الأساسية لنقل التاريخ.

وقد حفظت الأغاني والملاحم والحكايات الشعبية كثيراً من الأحداث والشخصيات التي انتقلت من جيل إلى جيل.

ولهذا لعب الرواة والشعراء دوراً مهماً في الحفاظ على الوعي التاريخي الكوردي.

الأدب الكوردي

ساهم الأدب في ترسيخ الهوية الكوردية عبر القرون.

ومن خلال الشعر والقصص والنصوص الأدبية حافظ الكورد على جزء مهم من تراثهم الثقافي.

وأصبحت الأعمال الأدبية سجلاً موازياً للتاريخ السياسي والعسكري.

الدين والتنوع

عاش الكورد عبر تاريخهم ضمن أطر دينية متعددة.

فمن بينهم:

المسلمون.

الإيزيديون.

المسيحيون.

اليارسان.

جماعات دينية أخرى.

ورغم هذا التنوع بقي الانتماء الكوردي عاملاً جامعاً في كثير من السياقات التاريخية.

القبيلة والعشيرة

لعبت القبائل والعشائر دوراً مهماً في تنظيم المجتمع الكوردي.

فقد وفرت:

الحماية.

التضامن الاجتماعي.

الاستقرار المحلي.

لكنها كانت أحياناً سبباً في الانقسامات والصراعات الداخلية.

ولهذا كان دورها مزدوجاً في التاريخ الكوردي.

الذاكرة الجماعية للمآسي

من ديرسم إلى الأنفال.

ومن حلبجة إلى شنكال.

تشكلت لدى الكورد ذاكرة جماعية مرتبطة بالمحن الكبرى.

وأصبحت هذه الأحداث جزءاً من الوعي الجمعي الذي يوحد الأجيال المختلفة حول تجربة تاريخية مشتركة.

الذاكرة الجماعية للمقاومة

لم تقتصر الذاكرة الكوردية على المآسي فقط.

بل تضمنت أيضاً:

الثورات.

الشخصيات التاريخية.

التجارب السياسية.

لحظات النجاح والصمود.

ولهذا تشكلت الهوية الكوردية من مزيج من الألم والأمل معاً.

الحدود الحديثة وتحدي الانقسام

بعد القرن العشرين وجد الكورد أنفسهم موزعين بين عدة دول.

ومع ذلك استمرت الروابط الثقافية واللغوية والتاريخية بينهم.

وأصبحت الحدود السياسية تحدياً جديداً أمام الهوية الكوردية، لكنها لم تؤدِّ إلى اختفائها.

الإعلام والتعليم

في العقود الأخيرة لعب الإعلام والتعليم دوراً مهماً في تعزيز التواصل بين الكورد في مختلف أجزاء كوردستان.

وساهمت:

الصحافة.

الفضائيات.

الإنترنت.

الجامعات.

في تعزيز الوعي المشترك بالتاريخ والثقافة.

الهوية الكوردية في القرن الحادي والعشرين

أصبحت الهوية الكوردية اليوم أكثر تعقيداً وتنوعاً من أي وقت مضى.

فهي تجمع بين:

الانتماء المحلي.

الانتماء الوطني.

الانتماء الإقليمي.

الانتماء الثقافي الكوردي.

وأصبحت جزءاً من نقاشات أوسع تتعلق بالديمقراطية وحقوق الشعوب والتعددية الثقافية.

لماذا بقي الكورد؟

ربما لا يوجد جواب واحد على هذا السؤال.

لكن يمكن القول إن بقاء الشعب الكوردي ارتبط بعدة عوامل مجتمعة:

الجغرافيا.

اللغة.

الذاكرة.

الثقافة.

الروابط الاجتماعية.

القدرة على التكيف مع التحولات التاريخية.

وهذه العناصر مجتمعة هي التي سمحت باستمرار الهوية الكوردية عبر قرون طويلة من التغيرات.

إن الهوية الكوردية ليست نتيجة حدث واحد أو فترة واحدة، بل ثمرة مسار تاريخي طويل تشكل عبر قرون من التفاعل بين الإنسان والأرض واللغة والذاكرة. ورغم الحروب والتهجير والانقسامات السياسية، بقيت هذه الهوية حية ومتجددة، تنتقل من جيل إلى جيل، وتحافظ على حضورها في عالم سريع التغير.

عندما بدأت رحلتي في كتابي هذا من زاغروس الساسانية الكوردية، لم يكن الهدف مجرد جمع الحروب والمعارك والثورات والمجازر في صفحات متتالية.

فالتاريخ ليس قائمة من التواريخ والأسماء فقط.

إنه قصة الإنسان في مواجهة الزمن.

وقصة شعب حاول أن يحافظ على وجوده وهويته رغم التحولات الكبرى التي شهدها الشرق الأوسط عبر أكثر من أربعة عشر قرناً.

ولهذا فإن هذا الكتاب ليس كتاباً عن الموت فقط.

بل هو أيضاً كتاب عن البقاء.

كوردستان في قلب الشرق الأوسط

منذ أقدم العصور وجدت كوردستان في واحدة من أكثر مناطق العالم حساسية.

فهي تقع بين:

الأناضول.

بلاد الرافدين.

الهضبة الإيرانية.

بلاد الشام.

ولهذا كانت دائماً ملتقى طرق ومسرحاً للتنافس بين القوى الكبرى.

وكان الموقع الجغرافي نعمة ونقمة في الوقت نفسه.

فقد وفر التواصل والتبادل الحضاري، لكنه جلب كذلك الحروب المتكررة.

من الإمبراطوريات إلى الدول الحديثة

مرّت على كوردستان دول وإمبراطوريات كثيرة:

الساسانيون.

الخلافة الإسلامية.

السلاجقة.

المغول.

التيموريون.

الصفويون.

العثمانيون.

الدول الحديثة.

وتغيرت الحدود والأنظمة عشرات المرات.

لكن القرى والجبال والمدن والسكان بقوا جزءاً من المشهد التاريخي المستمر.

القرن العشرون
قرن التحولات الكبرى

إذا كان القرن السادس عشر قد غيّر خريطة كوردستان بين العثمانيين والصفويين، فإن القرن العشرين غيّر مصيرها السياسي بالكامل.

ففيه شهد الكورد:

سقوط الدولة العثمانية.

معاهدة سيفر.

معاهدة لوزان.

الشيخ سعيد.

آرارات.

ديرسم.

كوردستان الحمراء.

مهاباد.

ثورة أيلول.

الأنفال.

حلبجة.

وهي أحداث ما زالت آثارها حاضرة حتى اليوم.

المأساة والذاكرة

تحولت أسماء عديدة إلى جزء من الوعي الكوردي المعاصر:

ديرسم.

مهاباد.

الأنفال.

حلبجة.

شنكال.

وأصبحت هذه الأسماء أكثر من مجرد مواقع أو تواريخ.

لقد أصبحت رموزاً لذاكرة جماعية تشكل جزءاً من هوية الأجيال المتعاقبة.

البقاء رغم كل شيء

ربما يكون السؤال الأهم الذي يطرحه هذا الكتاب هو:

كيف بقي الكورد؟

فقد تعرضت مجتمعات كثيرة عبر التاريخ للتفكك أو الذوبان أو الاختفاء.

لكن الكورد استمروا في:

لغتهم.

ثقافتهم.

تراثهم.

ذاكرتهم.

وجودهم الديمغرافي.

وهذا في حد ذاته ظاهرة تاريخية تستحق الدراسة.

الجبال واللغة والذاكرة

يمكن اختصار عوامل البقاء الكوردي في ثلاثة عناصر كبرى:

الجغرافيا.

اللغة.

الذاكرة.

فالجبال وفرت الحماية.

واللغة حفظت الثقافة.

والذاكرة حفظت التجربة التاريخية.

ومن تفاعل هذه العناصر تشكلت استمرارية الهوية الكوردية عبر القرون.

أخطاء التاريخ الكوردي

لا يمكن كتابة تاريخ ناضج من دون الاعتراف بالأخطاء أيضاً.

فقد شهد التاريخ الكوردي:

انقسامات داخلية.

صراعات عشائرية.

نزاعات سياسية.

حروباً بين القوى الكوردية نفسها.

وكان لهذه الأحداث أثرها في إضعاف الموقف الكوردي في مراحل متعددة.

ولهذا فإن دراسة التاريخ يجب أن تشمل النجاحات والإخفاقات معاً.

الكورد في القرن الحادي والعشرين

اليوم يعيش الكورد واقعاً مختلفاً عن جميع المراحل السابقة.

فقد أصبح لديهم:

جامعات.

مؤسسات إعلامية.

برلمانات.

أحزاب سياسية.

حضور دولي أكبر من أي وقت مضى.

وفي المقابل ما زالت هناك تحديات كبيرة تتعلق بالاستقرار والتنمية والعلاقات الإقليمية.

بين الماضي والمستقبل

لا يستطيع أي شعب أن يعيش في الماضي وحده.

لكن لا يستطيع أيضاً أن يبني مستقبله إذا نسي تاريخه.

ولهذا فإن دراسة تاريخ الكورد ليست محاولة للعودة إلى الوراء.

بل محاولة لفهم الطريق الطويل الذي أوصلهم إلى الحاضر.

الرسالة الأخيرة

لقد حاولت في هذا الكتاب أن أقدم رواية تاريخية لمسيرة طويلة امتدت من زاغروس الساسانية الكوردية إلى شنكال المعاصرة.

ومن القادسية إلى استفتاء 2017.

ومن الإمارات الكوردية إلى المؤسسات الحديثة.

وهو لا يدّعي امتلاك الحقيقة المطلقة.

بل يقدم قراءة تاريخية تسعى إلى فهم التجربة الكوردية عبر العصور.

ربما تتغير الحدود.

وربما تتغير الأنظمة السياسية.

وربما تتغير موازين القوى.

لكن ما دام هناك من يتحدث اللغة الكوردية، ويحفظ الذاكرة الكوردية، ويروي تاريخ كوردستان لأبنائه، فإن قصة هذا الشعب لن تنتهي.

لقد مرّ أربعة عشر قرناً.

وسقطت دول وإمبراطوريات لا حصر لها.

لكن الكورد ما زالوا هنا.

وهذه، بحد ذاتها، إحدى أهم حقائق التاريخ.

من زاغروس الساسانية إلى شنكال
تاريخ العنف والمجازر والتهجير ضد الشعب الكوردي
636م لوقتنا الحالي.

تأليف:
أمير أبو حديد
باحث في التاريخ والفكر، ومؤرخ وكاتب.